

كلمة حامب الغبطة بطريرك المدينة المهدّسة أورشليم كيريوس كيريوس تيوفيلوس التالت

بمناسبة عيد هامتي الرسل بطرس وبولس في مدينة كفرناحوم ١٢-٧-٢٠٢١

يقول صاحب المزمور: «أَعْلَنَ الرَّبُّ خَلاَصَهُ. وكَشَفَ عَدْلُهُ قُدَّام الأُمَم.» (مزمور ٢: ٩٧)

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح، أيها المسيحيون الأتقياء،

مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ قد جمعنا اليوم في هذا المكان والموضع المقدس ههنا في كفر ناحوم التي ورد ذكرها في الإنجيل لكي نُعيِّد لتذكار القديسين المجيدين هامتي الرُسل بطرس وبولس المنفصلين جَسَدِيًّا والمتحدَّين بالرُّوح.

إنَّ بطرس وبولس يُعتبران بِأَهُما هامتي الرسل وذلك لأَهُما كانا شاهدين صادقين بآذاهُما لدعوة الرَّبِ، فقد قال لبطرس أوَّلًا: «طُوبِي لَكَ

يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ خُمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّحْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبُوْلُ الْحُصِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (متى ١٦: ١٨-١٨) كنيسَتِي، وَأَبُولُ الْجُعِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.» (متى ١٦: ١٨-١٨) وأمًّا لبولس فقد قال له: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضطهده. وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذُ اللهُهُ حَنَانِيًّا، فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُوْيًا: «يَا حَنَانِيًّا!». قُمْ وَاذْهَبْ (إلى بولس) لأَنَّ هذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارُ لِيَحْمِلَ اللهِي أَمَامَ أُمَمِ وَالْوَقْتِ جَعَلَ يَكُورُ فِي الْمَحَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ.) وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكُورُ فِي الْمَحَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ.) وأعمال ٩: ٤-٥٠).

إن الميزة الخاصة لبطرس ولبولس هي حقيقتهما التي لا حدال فيها أنهما اعترفا بوحي وإلهام الروح القدس بالطبع «بأن الْمَسِيحُ هو ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (متى ١٦:١٦)، وأيضًا أخذ بطرس الوصية جهارًا من الرَّبّ قائلاً له: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحِبُّنِي أَكْثرَ مِنْ هؤُلاَءِ؟ ارْعَ خِرَافِي... قائلاً له: «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، أَتُحبُّنِي أَكْثرَ مِنْ هؤُلاَء؟ ارْعَ خِرَافِي... ارْعَ غَنَمِي.» (يو ٢١:١٥-١٧). ويفسر القديس كيرلُس الإسكندري أقوال الرّب هذه لبطرس: « أنه ينبغي أن نفهم من ذلك أن هذا تجديد لرسوليّتِهِ التي كانت قد أُعطيت له من قبل، فغسل المسيح بخديد لرسوليّتِهِ التي كانت قد أُعطيت له من قبل، فغسل المسيح بذلك عار سقطته ونزع عنه الجبن وصغر النفس الذي نتج من الضعف البشرى.»

وأما فيما يخص القديس الرسول بولس الذي قال عن نفسه: «أعْرفُ



إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَنَّهُ الْحَتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ عِمَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ هِمَا.» (٢ عَوَ ٢ : ٢ - ٤)

ويشير القديس يوحنا الذهبي الفم إلى خبرة الرسول بولس المميزة متسائلًا: لكن لماذا اختطف «القديس الرسول بولس» فيجيب قائلًا: لكيلا يُظنّ به أنه أقل من باقي الرسل الآخرين لأن أولئك «أي الرسل» قد تعاملوا مع المسيح «عندما كان على الأرض» وأمَّا بولس الرسول فلم يكن معهم، لذلك اختطفه المسيح لكى يمجده ويشرفه.

لقد تمجَّد الرسول بولس من الله وذلك لأنَّهُ من جهةٍ قد أظهر بامتياز أنَّهُ رسول الأمم

كما يشهد هو ذلك عن نفسه قائلاً: «بِمَا أَنِّي أَنَا رَسُولٌ لِلأُمَم أُبَحِّدُ خِدْمَتى، » (رو ١١: ١٣)، ومن الجهة الأحرى قد شرَّفَ وَمَحَّد مُرتبته الرسوليَّة ليس من خلال كرازته الخلاصية فقط، بل أيضًا من خلال عمله أي اهتمامه الشخصي وعنايتهِ وسهره اليوميّ الدائم من أجل جميع الكنائس كما يؤكد هو بذاته أيضًا قائلًا: «في تَعَبُ وَكَدِّ، في أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، في جُوع وَعَطَش، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيُ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذلِكً: التَّرَاكُمُ عَلَىَّ كُلَّ يَوْمٍ، الاهْتِمَامُ بِجَمِيع الْكَنَائِس.» (٢ كور ١١: ٢٧-٢٨)، وأيضًا قد مُجِّد ونال الشرف، المغبوط بطرس من الله عندما قال له: «وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ». (متى ١٦: ١٩). إن هذه الموهبة أي سلطان الحل والربط «للخطايا» قد نالها جميع الرسل بالتساوي وبالطبع قد حصل عليها أوَّلًا بطرس، كما يشرحُ زيغافينوس مُفَسِّرًا ما سبق أنَّ هذه الموهبة قد نالها جميع الرسل الآخرين ولكن قد حاز عليها أوَّلًا بطرس وذلك لأنَّهُ أوَّلَ من اعترف بأنَّ المسيح هو ابن الله الحيّ بالحقيقة.

ويشدِّد القديس غريغوريوس بالاماس على عمل ونشاط الرسولين بطرس وبولس ومساواتهما في بطرس وبولس ومساواتهما في الكرامة وكيف يحملان كنيسة المسيح؟ لذلك اليوم تقدَم الكنيسة لهما

كرامة واحدة ويعيد للاثنين معا.

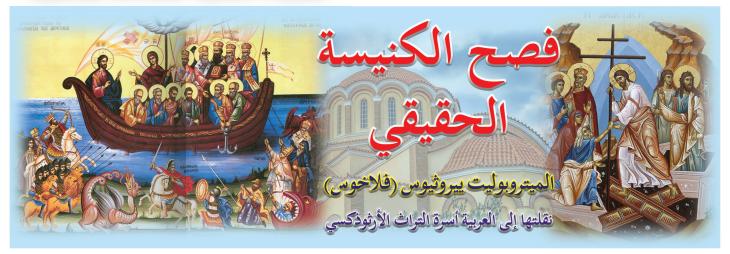
وأمّّا نحن فلننظر أيضا إلى نهاية حياتهما المرضية لله وكيفِيَّة تصرفهما مع باقي الرسل القديسين، فإن أبينا القديس غريغوريوس بالاماس يحثنا أن نقتدي ونتمثل ببطرس وبولس. وإنْ لم نستطيع أن نتبع فضائلهما كلَها، فَلْنَقْتَدِ على الأقل بتواضعهما وتوبتهما الَّلتين صَحَّحَا بِهِمَا حياتهما، فالفضائل الأُخرى تناسب العظماء ولا يستطيع أن يتشبه بها سوى الكبار. لكن عمل التوبة هو الذي يناسبنا أكثر من غيره لأننا نقترف كل يوم زلات كثيرة ولا خلاص لنا إلَّا عن طريق التوبة. لهذا فإننا نمتف مع المرتل ونقول:

« إفرح يا بطرس الرسول الصديق المخلص لمعلمك المسيح إلهنا. افرح يا بولس المحبوب جدًّا. ياكاروز الإيمان ومعلم المسكونة. والآن فيما

لكما من الدالة لدى الإله. أيها الزوج المقدس المصطفى. ابتهلا إليه في خلاص نفوسنا.»



الداعي لكم بحرارة بالرب البطريرك ثيوفيلوس الثالث بطريرك المدينة المقدسة أورشليم



الفصح هو عيد الربيع، لكنه أيضًا عيد المسيحي الذي يعيش في حَوِّ الكنيسة. الربيع هو مهرجان الطبيعة الذي يوقظها من هجعة الشتاء ويهيؤها للإثمار. والفصح المسيحي هو ربيع هذه الحياة الذي يوقظ من ظلمة الموت ويهيء للتسامي. «الفصح هو فصح الرَّبّ، لأنَّ المسيح الهنا أجازنا من الموت إلى الحياة».

الخُلُق الفصحي

إِنَّ الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسية هي كنيسة القيامة لأخَّا تُعطي الأَوَلِيَّةِ لانتصار المسيح على الموت، عبور الانتصار على الموت، عبور الكلمة إلى القلب البشري فلا يتحوّل إلى المنطق والحواس البشريَّة.

عندما يتفحَّص الإنسان خُلُق الأرثوذكسية يجد أنها تهب «الرُّوح» والحياة الآتيين من القبر: «الحياة في القبور» (كما نقول في الترنيمة) «إي زويي إنْ تافو Τάφω εν τάφω». إنها بريق النور ونشوة الحياة. هنا يمكن أن نرى الفرق بين المسيحية الغربيَّة والكنيسة الأرثوذكسية.

المغبوط فرنسيس، في سيرة كازانتزاكيس، يبلغ إلى ذروة الحياة الروحيَّة بإحساسه بالمسيح المصلوب في حسده. هو يصف ذلك: «إنَّهُ صليب أيها الأخ ليون، حسد الإنسان هو صليب، افتح ذراعيك وسوف ترى، المسيح مصلوبًا عليه (الجسد)». ومن ثم صَلَّى: «يا مسيحي، يا حبيبي، أطلب منك خدمة، خدمة واحدة

قبل أن أموت، أنْ أشعر في حسدي ونفسي، بقدر الممكن، بوجعك وبألمك المقدس...» لقد بلغ نقطة رؤية حراح الصليب على حسده، وعندما سَأَلَ خِبْرَةً أخرى أعظم من الأولى، سمع صوتًا إلهيًّا يقول: «لا تطلب أكثر، هنا ينتهي صعود الإنسان، عند الصلب».

من جهة أخرى، القديس الأرثوذكسي سلوان الأثوسي، رأى المسيح المصلوب واختبر الفصح في كيانِه وفي الخليقة. بعد معاينة المسيح قائمًا قال: «كنت أع يش في احتفال فصحي. كل شيء كان جميلًا؛ الكون كان رائعًا، الناس كانوا محبوبين، الطبيعة كانت فاتنة بشكل لا يوصف، الجسد تغيّر وصار نورًا، القوّة ازدادت... الرُّوح طفحت بالفرح؛ تعاطفت مع الناس وصليت من أجل العالم بأكمله».

هذا الفرق بين التفكيرين الشرقي والغربي يظهر في الفرق بين جان بول سارتر والقديس سارافيم ساروفسكي. الأول (سارتر) في خيبته من المسيحية الغربية قال: «الآخر هو جحيمي» الشعور بالمعاناة. (المعاناة هي تجربة شخصية يشعر بها من يعاني بعدم السعادة).

الأخير (القديس سارافيم) كان يتوجّه إلى كل مَن يلتقيهم مُحَيِّيًا: «يا فرحي، المسيح قام». كُلّ «آخر» لم يكن «مختلفًا» ولا «غريبًا» ولا «أجنبيًا» بل أخًا. خبرة القيامة تتغلّب على الموت، وتُبطل مفعول الأنانية وتبيد الجحيم. من دونها، يصير الإنسان مسجونًا في جحيمه الشخصي.

كتب أفدوكيموف: « يمكننا تصوير الجحيم على أنه قفص مُكَوّن من مرايا: يمكن للإنسان أن يرى فيها وجهه فقط مضاعفًا إلى اللانهاية، من دون أي لمحة لأي وجه آخر. أنْ يرى الإنسان نفسه فقط، معناه أنَّهُ مُتحَم بذاته حتى الغثيان، لا بل حتى الحازوقة الوجودية».

معضلة قابلية الموت:

في الاحتفال بفصحنا كعيد الأعياد وموت الموت والثمرة الأولى لحياة ثانية أبديَّة، نشعر في ذواتنا وحولنا برائحة الموت الروحي، بالحياة التي قبل قيامة المسيح. نحن نعيش هذه الحياة البيولوجية فقط للبقاء، وبالحقيقة كأشخاص قابلين للموت. نحن ننشد «المسيح قام»، نحتفل خارجيًّا، لكن مرارة المحيم تُسيطر في داخلنا، وحتى غالبًا على الحياة الكنسيَّة

ذِكْرُ الموت مرِّ، ومثله أَلَمْ الوحدة. هذه العوائق السَّامَّة، حتى في المسيحيَّة، مُرَّة. حتى في الكنيسة نفسها التي هي استمرار لكنيسة القيامة ومعلمة سرّ القيامة.

بالحقيقة إنَّ ما يُبعدنا عن مهرجان الحياة الوجودي هو الأهواء على اختلافها. الضغوطات المختلفة أيضًا تجعل الشعور بالحياة الكنسية مختلفًا عن ذلك. المسيحيون منقسمون بسبب اعتبارات سياسية متعددة،

الأرثوذكسيون فيما بينهم في مزاحمات مختلفة. هذه الأمور لا تذكرنا أبدًا بالمسيح القائم.

هكذا يستمر صلب الكنيسة الأرثوذكسية...

فصح الكنيسة الحقيقي:

فصحنا، كانتصار على الموت وحبرة الحياة، نختبره اليوم بالرغم من القوى والميول الدهرية. الذين يختبرونه هم أولئك الذين يسلكون باتضاع ووجوديًّا ضمن الكنيسة، بعيدًا عن الدهرية والعنصرية والاعتبارات السياسية. كما يمكن أن نراه بوضوح في رفات القديسين.

بشكل طبيعي، أجساد القديسين الراقدين، هي مجرد كتلة من الخلايا تضم فيما بينها خلايا الشيخوخة وينبغي أنْ تَبْلَى. لكن، قوة ونعمة القيامة لا تتركها تتحلل، وهذا ما يثبت أنَّ أصحابَها تغلبوا على الموت. القديس إنسان يرقد منتظرًا النداء الأخير ليقوم.

هذا هو إذًا فصحنا، كسرِّ للقيامة، وليس كديانة مسيحية فيها أهواء محبة الأوليَّة والانقسام والمنافسات. فصحنا لا يمكن استبداله بديانتنا التي تعيش تحت سلطان الموت. المسيح القائم لا يمكن أن يتشكّل من تعابير سياسية عن المسيحية، ولا قوة القيامة يمكن أن تتكيّف ضمن ما يُعرَف بالدول المسيحية. فصحنا يُختَبر إيجابيًّا وهدوئيًّا كعشق وبتواضع.



بالنسبة للمسيحيين، معيار الحقيقة هو الأمانة للمسيح و «الإيمانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ» (يهوذا ٣). الآباء القديسون باتحادهم الكامل بالمسيح بالرُّوح في الكنيسة المقدسة، يصيرون بدورهم المرجع التجريبي الذي به تقاس الحقيقة. لهذا السبب، بالنسبة للأرثوذكسيين، تعاليم الآباء القديسين هي سلطة ينبغي اتباعها وتصديقها، أبعد وفوق أي رأي قد يمتلكه شخص أو مجموعة.

إن هذا الاعتقاد التأسيسي هو بمثابة مقدمة لمناقشة مسألة العلاقات بين الكنيسة الأرثوذكسية وروما، والتي ما زالت مكان نقاش في الأوساط الكنيسة.

منذ المجمع الفاتيكاني الثاني، طوّرَت روما فكرة أنَّ الانقسام هو مسألة «كنائس شقيقة» منفصلة، وبأنَّ الكنيسة الأرثوذكسية «ينقصها القليل لتحقيق الملء الذي من شأنه أن يسمح احتفال مشترك من القربان المقدس الرب». هل تقبل الكنيسة الأرثوذكسية بهذا الفهم

للانشقاق وبوضع الكثلكة؟ للإجابة على هذا السؤال، يجب أن نعود إلى القديسين والقرارات المجمعية، وعندها، فإن الجواب هو «لا» لا لُبْسَ فيها.

عندما ندرس الخلافات مع روما في حياة القديس فوتيوس الكبير (القرن التاسع) و القديس مرقس الأفسسي (القرن الخامس عشر)، نجد رفضًا واضحًا لروما بسبب ابتداعاتها، طللا أنها تتمسّك بما — وبالتالي رفض إمكانية الوحدة معها لهذا السبب بالذات. الكنيسة الأرثوذكسية، مع أهًا لم تعلن قداسة هذين الرَّجلين، بل اعتبرتهما أيضًا «أعمدة الأرثوذكسية» وتبنَّت تعليمَهُمَا عن روما ضد البابوية و الفيليوكفيه (انبثاق الروح القدس) والحركة المسكونية. تعليم القديس فوتيوس ضِدّ الفيليوكفيه وأولويَّة البابا تبنّته الكنيسة الأرثوذكسية رسميًّا في المجمع المسكوني في القسطنطينية الكنيسة الأرثوذكسية وأحدته في رفضها للاتحاد الزائف في بازل – فيورا – فلورنسا.

في هذه المرحلة، قد يفترض البعض أنَّ الكثير تغيّر منذ القرن الخامس عشر، وأنّ الهيئات غير الأرثوذكسية قد تكون اقتربت أكثر إلى التماشي مع العقيدة الأرثوذكسية خلال القرون، وبالتالي، هذه المجموعات صارت أقرب إلى الشركة الإفخارستية الكاملة. لكي يتحقق هذا الأمر، ينبغي وجود شيء من الحركة الجديرة بالاعتبار ليس في الإيحاء أو المواقف، بل في العقيدة والحياة من ناحية الكثلكة نحو الأرثوذكسية، أقله منذ عهد القديس مرقس الأفسسي. ولكن فكرة أنَّ روما قد تحركت في هذا الاتجاه لا يمكن الدفاع عنها. إذا كان هناك من حركة، فهي ابتعدت أكثر في عدد من الجوانب الهامة.

أوضح فيلاريت رئيس أساقفة نيويورك، تعليقًا على الحج الرسولي في عام ١٩٦٥ (لقاء البابا والبطريرك المسكوني في أورشليم): الكثلكة اليوم ليست حتى الكنيسة نفسها، التي رفضت الكنيسة الأرثوذكسية بقيادة القديس مرقس الأفسسي الدخول في اتحاد معها. الكثلكة الآن أبعد عن الأرثوذكسية، بعد أن أدخلت المزيد من العقائد الجديدة وتبنّت المزيد والمزيد من مبادئ الإصلاح والمسكونيّة، والحداثة.

حتى الكثير من الكاثوليك التقليديين يتفقون مع هذا التقييم الصادق. ومنذ القرن الخامس عشر، تطرّق إلى قضية روما عددٌ غير قليل من القديسين الأرثوذكسيين، تعاليمها ومكانتها بالنسبة للأرثوذكسية. ما يلفت النظر في هذه التعاليم هو غياب كل أشكال العواطف المسكونيَّة.

القديس نيقوديموس الآثوسي (القرن الثامن عشر):

تسمّى معمودية اللاتين معمودية وراً. . . لأنهم هراطقة. . . لقد قال عنهم ما فيه الكفاية المتعلقة القديس مرقس الأفسسي في فلورنسا (في الاجتماع الخامس والعشرين)، حيث تحدَّث بصراحة على النحو التالي: « لقد انفصلنا عن اللاتين لا لسبب سوى حقيقة أنهم ليسوا منشقين وحسب، بل أيضاً هراطقة »، ولهذا السبب يجب علينا ألَّا نفكّر في الوحدة معهم.

القديس ثيوفانس الحبيس (القرن التاسع عشر):

حقيقة الله، وهي الحقيقة الكاملة النقيَّة والخلاصيَّة، لا يمكن العثور عليها لا عند الكاثوليك ولا عند البروتستانت، ولا في الانجليكانيين. يمكن العثور عليها فقط في الكنيسة الواحدة الحقيقية أي الكنيسة الأرثوذكسية... الكاثوليك هم أول من انشق عن الكنيسة».

القديس يوستينوس بوبوفيتش (القرن العشرون):

أول اعتراض جذري باسم الإنسانية ضِد المسيح الإله-الإنسان، والكائن الإلهي- البشري أي الكنيسة، ينبغي البحث عنه في البابوية وليس في اللوثرية. البابوية هو في الواقع أول وأقدم بروتستانتية.

الشيخ صوفروني آسكس (القرن العشرون):

... ولكن «اتحاد الكنائس» صعب، إن لم يكن مُستحيلًا. أولئك الذين يتحدثون عن «اتحاد الكنائس» لا يعرفون عقليَّة غير

الأُرثوذُكس ولا سمق الأرثوذكسية... أنا لا أريد «اتحاد الكنائس»، على الأقل الآن، لأنَّ الكاثوليك لن يتغيروا و الأرثوذكس لن ينحرفوا.

القديس نيقولا فيليميروفيتش (القرن العشرون):

وهو كان قد عبر عن ميول «مسكونيَّة» في شبابه لكنه لاحقًا عاد ليوافق غيره من القديسين.

إذا كانت كل طائفة لا تحتوي إلَّا جُزءًا من العقيدة المسيحية فقط، فإنَّ الكنيسة الأرثوذكسية تحوي مجمل الإيمان الحقيقيّ بوفرة، وهو «الإيمانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِيسِينِ» (يهوذا ٣). . . لا يمكن أنْ تتحقَّق وحدة جميع الكنائس من خلال التنازلات المتبادلة، بل فقط عن طريق التزام الجميع بالإيمان الواحد الصحيح في مجمله، كما وُرِثَ من الرسل ووُضع في المجامع المسكونية. بعبارة أخرى، من خلال عودة جميع المسيحيين في الكنيسة الواحدة غير القابلة للتجزئة التي انتمى اليها أسلاف جميع المسيحيين في العالم كله في القرون العشرة الأولى بعد المسيح. إنَّها الكنيسة الأرثوذكسيَّة المقدسة.»

هذا التوافق بين القديسين الجُدد نسبيًّا في معارضة الاتحاد مع روما طالما أهًّا لا تزال ملتزمة أخطاءها، هو بطبيعة الحال، ماكان ليبدو بارزًا لو كان هناك أيضا قديسون يحبّذون المسكونية أو التعددية الدينية. ولكن في الواقع، هؤلاء ببساطة لا وجود لهم.

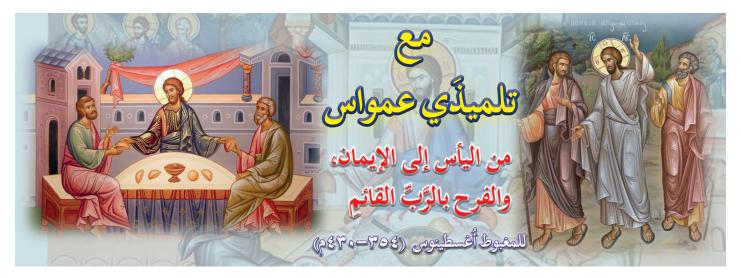
قد يبدو حوار روما اللاهوتي مع الكنيسة الأرثوذكسية حول الفيليوكفيه (انبثاق الرّوح القُدُس) في العقود الأخيرة أمرًا معاكسًا لهذا الكلام. ولكن من الصعب أن نرى في هذا أكثر مراوغة، خاصةً مع تبني روما لتطوّر العقيدة، الذي هو بحد ذاته إشكاليَّة أساسية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية في التزامها التعليم الرسولي: « وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ.» (١ كو ١١: ٢).

هذا الكلام، وبدون أي اعتذار، ليس دعوة للعنف أو سوء المعاملة للكاثوليك. على العكس من ذلك، إنَّهُ دعوة إنجيليَّة أساسيَّة إلى الانخراط في الحوار تقوم على قول الحقيقة في المحبة. هذا يشمل الاستماع بإخلاص إلى المخاوف بودية كما يقول القديس بولس: «صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا» (١ كو ٩: ٢٣-١).

هذا بالتأكيد (وبشكل اضح) لا يشمل المساس برسالة الانجيل حيث الثالوث والكنيسة مركزيًّان في العقيدة الأرثوذكسية. ما من محبة في أن تترك أخاك يتمادى في الخطأ المدمر، إذا كان يرغب بالحقيقة بجديّية. لا بل إنَّ مزاوجة الحقيقة مع الزيف هي قلّة محبة، وبالتالي تجديف ضِد الثالوث الأقدس.

يضع القديس باييسيوس الأثوسي الأمر على هذا الشكل:

لسنا بحاجة لأنْ نقول بأنَّ المسيحيين غير الأرثوذكسيين ذاهبون إلى الجحيم أو أنهم ضِدِّ المسيح. ولكن أيضًا لا ينبغي أنْ نقول لهم انهم سوف يخلُصون، لأنَّ هذا يمنحهم تطمينات كاذبة، ونحن سوف نُحاسَب على ذلك. علينا أن نعطيهم قدْرًا جيِّدًا من عدم الارتياح، وأن نقول لهم أنهم مخطئون.



† «فَدَخَلَ لِيَمْكُثَ مَعَهُمَا... فَانْفَتَحَتْ أَغْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ» (لو ٢٢: ٣١،٢٩).

مُرافقة الرَّبّ لتلميذَيه في طريق الحياة، لكي لا يضلا الطريق (١):

يَذْكُر مرقس الإنجيلي، باختصار (مر ١٦: ١٦ - ١٣)، حادثة تتبَّعها لوقا (الإنجيلي) بأكثر تفصيل (لو ٢٤: ١٣ - ٣٤)، تلك هي حادثة التلميذَين اللذين، رغم أنَّهما لم يكونا من الاثني عشر، إلاَّ أنَّهما كانا من عداد التلاميذ؛ مُبيِّنًا أنَّ الرَّبِّ ظهر لَهُمَا وهما يمشيان مُنطلقَيْن في رحلة اليأس والقنوط (إلى قريتهما عمواس)، فرافقهما وسار معهما (١).

ظهر يسوع لهما، وكانا ينظُرانه بَأَعيُنِهَما، ولكنهما لم يَعْرفاه. سار معهما السيّد في الطريق، وفي الحقيقة أنّهُ كان هو «الطريق» الذي لم يكونا بعد سائريْن فيه؛ ولكنه وجدهما وقد ضلاَّ مسافةً ما عن الطريق (٣)! (ملحوظة: المسيح هو الطريق والحقّ والحياة).

وبينما كانا مُنْطلقَيْن على الطريق، كانا يُناقشان تلك الأحداث التي وقعت في أورشليم، أَلا وهي جريمة اليهود وموت المسيح.

وبينما كانا يسيران، كانا يَتَطَارَحَان الحديث وهما مُتَكَدِّران محزونان لأجل ذاك الذي حَسِبَاهُ قد مات، وهما غافلان تمامًا عن كونه قد قام أيضًا.

ظهر لهما (الرَّبّ يسوع)، وصار كأنه مسافرٌ ثالثٌ معهما، وانضمَّ اللهما في حديثٍ وُدِّي، «وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْينُهُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ» (لو اليهما في حديثٍ وُدِّي، «وَلكِنْ أُمْسِكَتْ أَعْينُهُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ» (لو ٢٤: ١٦)، لأنه كان من الملائم أن يتعلَّم قَلْبَاهُمَا ما هو أفضل لهما...!

استفسر منهما الرَّبِّ عمَّاكانا يتناقشان فيه، لكي يُصارحاهُ بماكان يعْلَمَاه بالفعل. وكما سمعتم، فقد أَخَذَا يتعجَّبان من سُؤالِه، إذ بَدَا لهما أَنَّهُ لا يعرف شيئًا عن حدثٍ كان معلومًا للجميع. «وَقَالَ لَهُ لا يعرف شيئًا عن حدثٍ كان معلومًا للجميع. «وَقَالَ لَهُ (أَحَدُهُمَا الَّذِي اسْمُهُ كِلْيُوبَاسُ): «هَلْ أَنْتَ مُتَغَرِّبٌ وَحُدَكَ فِي أُورُشَلِيمَ وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيُّامِ؟» فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا وَلَمْ تَعْلَمِ الأُمُورَ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ؟» فَقَالَ لَهُمَا: «وَمَا هِي؟» فَقَالاً: «الْمُخْتَصَةُ بِيسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ...» (لو ٢٤: ١٨ - ١٩).

أَيُّهَا التلميذان، هل كان المسيخ رَبَّ الأنبياء، مجرَّد نبيِّ؟... إِنَّهُمَا يَرْجَعان إلى كلام الآخرين (عن المسيح)... فإنكم تذكرون، عندما

سأل يسوع نفسه تلاميذه قائلاً: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟»، فأجابوه عن رأي الآخرين فيه، قائلين: «قَوْمٌ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ» (مت ١٦: ١٣ - ١٤). هذا هو كلام الآخرين وليس التلاميذ.

حينئذ سمع التلاميذ هذه الكلمات عينها: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي الْآخرين فيَّ، ولكني أنَا؟» (مت ١٥:١٦). «لقد أخبرتموني برأي الآخرين فيَّ، ولكني أرغب أن أسمع عقيدتكم فيَّ». ولمَّاكانت وحدة الرأي سائدة بينهم، تكلَّم بطرس وحده قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (مت تكلَّم بطرس وحده قائلاً: «أَنْتَ هُو الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ» (مت المَّن الله الْحَيِّ، مُتمِّم النبوَّات وخالق الملائكة...».

حينئذ سمع بطرس ما يحقُّ له أن يسمعه بعد نُطْقِهِ بهذا الإقرار: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي النَّمَوَاتِ.» (مت ١٦: ١٧).

فالإيمان وليس الإنسان، هو الذي استحقَّ أن يسمع هذا الكلام (وهذا التطويب) (٤)...

أمَّا التلميذان اللذان ظهر لهما الرَّبِّ في الطريق، اللذان «أُمْسِكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ»، فإنَّ كلماتهما تدلُّ على الحالة التي كان عليها قلْبَاهُمَا... فقد كانا يتكلَّمان معًا عن موته. فطالما كان ميتًا في نَظَرِهِمَا، فكان رأيهما فيه أنَّهُ مجرَّد نبيِّ، ولم يكونا قد تعرَّفا عليه بعد كربِّ ليس للأنبياء فقط، بل وللملائكة أيضًا (٥)!!

يا له من سرِّ عظيم!:

انظروا، يا أحبَّائي الأعزَّاء، كيف أنَّ الرَّبَّ يسوع أراد لهذين اللذين «أُمْسِكَتْ أَعْينُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ» أن يتعرَّفا عليه عند كَسْر الخبز.

إنَّ المؤمنين يعرفون المسيح عند كَسْر الخبز، ليس أي خبز؛ بل ذاك الذي يتقبَّل بركة المسيح ليصير جسد المسيح (٦).

والآن، يا أحبَّائي الأعزَّاء، تعالوا نستمع إلى هذا السرِّ العظيم الذي يُتَعَجَّب له!

لقد سار (الرَّبِّ يسوع) معهما، وقَبِلَ ضيافتهما (لَهُ)، وكَسَرَ معهما خبزًا، ثم تَعَرَّفا عليه.

إِنَّنَا لا نقول إِنَّنَا لم نتعرَّف (بعد) على المسيح، فنحن نعرفه إنْ كُنَّا

نؤمن. ولكن لا يكفي أنْ نقول: إنَّنَا نعرفه إن كُنَّا نؤمن؛ بل إن كنَّا نؤمن، فنحن نمتلكه. (ملحوظة: الإيمان هو الأساس لمعرفة المسيح).

كان لهما المسيح على مائدتهما، ونحن لنا المسيح في نفوسنا. وهذا أعظم، أنْ يكون المسيح في قلب الإنسان من أن يكون في بيته، لأن القلب جزءٌ صميمي فينا أكثر من بيتنا...

هأنذا اليوم أُنهض بالتذُكِرة ذهن محبتكم، أنَّ المسيح قائمٌ ينا إن كنَّا نسلك حسنًا، وإذا كانت حياتنا الشريرة السالفة ميتة، وحياة جديدة تنمو فينا يوميًّا...

ولكن، ماذا أعمل؟ إذ قد صرتُ لكم كأغنية لا تستحقُّ اهتمامكم، مُكرِّرًا توسُّلي: «غيِّروا أنفسكم»! نهاية الحياة غير معروفة. ألا تخافون الموت الفُجائي؟!...

أنا أشتهي أن أفرح، لا أن أحصل على مالٍ من أعمالكم الصالحة. لأن الذي يسلك حسنًا لا يجعلني غنيًّا، إلَّا أنَّهُ بحياته الصالحة، يُسعدني ويُغنيني. فثروتي هي لا شيء إنْ لم يكُن رجاؤكم هو المسيح (٧)!

«عرفاه عندكسر الخبز»:

آه، أيُّهَا الإخوة، إنَّهُ لم يَشَأْ أن يَتمَّ التعرُّف عليه

إلَّا عند َسُو الخبز، من أجلنا نحن الذين لم يُتَحْ لنا أن نراه في الجسد، ولكننا مع ذلك نأكل جسده.

لذلك، فكلُّ مَن هو مؤمن منكم، أنتم الذين لكم لقب المسيحي، ليس كمجرَّد اسم أجوف، أنتم الذين لا تدخلون الكنيسة بلا سبب، الذين تسمعون كلمة الله بمشاعر المخافة والرَّجاء؛ دَعوا كَسْر الخبز يجلب لكم التعزية. فإنَّ غياب الرَّبِّ ليس غيابًا حقيقيًّا. فليكُن لكم إيمانٌ، وذاك الذي لا تَرَوْنَه يكون معكم!

عندما تكلَّم الرَّبِ مع التلميذين، لم يكُن لهما إيمانٌ، لأنهما لم يُصدِّقا أنَّهُ قام، ولم يكُن لهما رجاءٌ في أنَّهُما يمكن أنْ يقوما مرَّةً أحرى.

لقد فَقَدَا الإيمان، وفَقَدَا الرَّجاء. كانا كمائتيْن يسيران مع الحيّ؛ بل كمائتيْن يسيران مع الحياة نفسها.

الحياة كانت تسير معهما، ولكن الحياة لم تكن قد تحدَّدت بعد في قلبيهما! (الحياة هي المسيح).

ضيافة التلميذَيْن للرَّبِّ:

فإذا أردتم أن تكون لكم حياةً، افعلواكما فعل التلميذان لكي تتعرَّفوا على الرَّبِّ.

لقد استقبلاه عندهما بِكَرِم ولُطْفِ. لأن الرَّبُّ لمَّا أَبدى أنَّهُ يقصد مكانًا أبعد، أَلْزَمَاهُ (أن يدخل عندهما في بيتهما)، فبعد أنْ أَقْبَلَا إلى الموضع الذي كانا ذاهبَيْن إليه، قالًا: «امْكُثْ مَعَنَا لأَنَّهُ نَحْوُ الْمَسَاءِ

وَقَدْ مَالَ النَّهَارُ» (لو ٢٤: ٢٩).

أَنْرِمْ ضيفك إذا أردت أن تتعرَّف على المخلِّص. فإنَّ كَوَم الضيافة قد عوَّض ما ضيَّعه عدم الإيمان. ولهذا أَظْهَر الرَّبِ نَفْسَهُ عند كَسْر الخبز! تعلَّم أين تطلب الرَّب، وأين تمتلكه لنفسك؟ تعلَّم أين تتعرَّف عليه؟ أي عندما تأكل حسده!

حقًا إنَّ المؤمنين في قراءتهم (للإنجيل) يفطنون إلى أمورٍ يفهمونها أفضل من أولئك الذين لا يُدركون (٨).

ألا تعلمون أنكم إذا قبلتم أي مسيحي، فإنكم تقبَلُونَ المسيح؟

أليس هو القائل: «كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي»؟ وعندما سألوه (الأبرار الذين عن يمينه): «وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ...؟». أجاب: «بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ» (مت ٢٥: ٣٥-٤٠).

فعندما يَقْبَل المسيحي مسيحيًّا، فإنَّ الأعضاء تخدم بعضها بعضًا، فيفرح الرأس ويَعتبر أنَّ ما قد ناله أحد أعضائه، قد أُعطِى له شَخْصيًّا...

لذلك ففي رحلتنا في الحياة، يحب أن نعيش حيث يكون المسيح في احتياج. وهو في

احتياجٍ في أتباعه؛ وأمَّا في نفسه، فهو ليس في حاجةٍ إلى شيء (٩)!

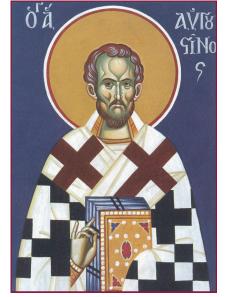
أَخفى الرَّبُّ وجوده الجسدي، لكى يُبنَى الإيمان:

بعد أن تعرَّف التلميذان على الرَّبِّ، لم يعُد يُرَى في أيِّ مكان! لقد أخفى (الرَّبُّ) وجوده الجسدي عن الذين امتلكوه الآن بإيمانٍ. وفي الحقيقة، إنَّ الرَّبُّ قد أُخفى وجوده الجسدي عن الكنيسة كلّها وصَعِدَ إلى السماء، وذلك لكيما يُبْنَى الإيمان!

لأنه إن كنتَ لا تقبل إلَّا ما تراه، فأين إيمانك؟ ومن الناحية الأخرى، إن كنتَ تؤمن بما لا تراه، فستفرح عندما تراه.

شَدِّد إيمانك، إذن، لأن بصيرتك ستتجدَّد. فإنَّ مَن لا نراه الآن سيأتي، سيأتي، سيأتي - يا إخوتي - حتمًا سيأتي؛ ولكن اهتمُّوا بالكيفيَّة التي سيجدكم فيها عندما يأتي (١٠)!

- (1) مُقتبسة من العظات: 236،235،234،232؛ عن .The Fathers of the Church, Vol. 38
 - (2) من العظة 234: 1. (3) من العظة 235: 1.
 - (4) من العظة 232: 3. (5) من العظة 236: 2
 - (6) من العظة 234: 2. (7) من العظة 232: 8-7.
 - (8) من العظة 235: 3-2. (9) من العظة 236: 3.
 - (10) من العظة 235: 3





† وقع أخٌ في بليَّةٍ، ومع الحزن أتلف عمل رهبانِيَّتُهُ، وإذ أراد أن يبدأ بالعمل من الرأس، كان يستثقل ذلك ويقول: « متى أبلُغ إلى ما كنتُ فيه»؟ وكان يضجر، وتصغر نفسُه، فلا يقدر أن يبدأ بعمل الرَّهبنةِ مَرَّةً أخرى، وأخيرًا ذهب إلى أحد الشيوخ وقصَّ عليه أمره. فلما رأى الشيخُ حُزنَه، ضرب مثلًا قائلاً له:

- «كان إنسانٌ له بقيع (حقل متّسع فيه أشجار مختلفة)، فمن توانيه امتلأ ذلك البقيع شوكًا، وإنَّهُ بعد ذلك انتبه، وأراد أن يُنقِّي ذلك البقيع من الشَّوك، فقال لابنه: «يا بُنيَّ، اذهب إلى البقيع ونقِّهِ واقلع شوكه». فلما ذهب ابنه وأبصر كثرة الشوكِ، سئم وملَّ، ونام. وبعد أيام كثيرة، فلما أبوه لينظر ماذا عمل الغلام، فلما رآه لم يعمل شيئًا، قال له: «حتى الآن لم تُنقِّ شيئًا»؟ فقال الغلامُ: «أخبرك، يا أبتاه، كلما عزمت على البدء في العمل، أبصر كثرة الشوك فأحزن، ومن كثرة الحزن كنت أضع البدء في العمل، أبصر كثرة الشوك فأحزن، ومن كثرة الحزن كنت أضع رأسي وأنام». فقال له أبوه: «لا يكون الأمرُ هكذا، يا ابني، ولكن نقً كلي يوم قدرَ مِفْرَشِك (المفرش الذي ينام عليه) فقط، وذلك قليلاً قليلاً». ففعل الغلام كما أمره أبوه، وداوم على ذلك حتى فرغ الشَّوكُ من ذلك البقيع».

وقال الشيخ لتلميذه: « وأنت كذلك، يا حبيبي، ابدأ بالعمل شيئًا فشيئًا ولا تضجر، والله بطيبه ونعمته يردُّك إلى سيرتك الأولى». فذهب ذلك الأخُ وعمل وصبر كما علَّمه الشيخُ، فوجد عزاءً وأفلح.

قصة الراهب الرحيم:

أ قيل عن شيخ إنه كان كثير الرحمة، فحدث غلاة عظيم، ولكنه لم يتحوَّل عن فعل الرحمة، حتى نفدَ كلُّ شيءٍ له، ولم يبقَ عنده سوى ثلاثِ خبزاتٍ، فحين أراد أن يأكل أحبَّ الله امتحانه، وذلك بأن قرع سائلٌ بابَه، فقال الرَّاهب لنفسِه: «جيِّدٌ لي أن أكونَ جائعًا، ولا أَرُدَّ أَخَ المسيحِ خائبًا في هذا الغلاء العظيم». فأخرجَ خبزتين له، وأبقى لنفسه خبزةً واحدةً، وقام وصلَّى وجلس ليأكل.

وإذا سائل آخر قد قرع الباب، فضايقته الأفكارُ من أجل الجوع الذي كان يُكابده داخله، ولكنه قفز بشهامة، وأخذ الحبزة وأعطاها للسائل قائلًا: « أنا أومِن بالمسيح ربي، إني إذا أطعمتُ عبدَه في مثل هذا الوقت الصعب، فإنه يُطعمني هو من خيراته التي لم تَرَها عينٌ، التي أعدَّها لصانعي إرادته». ورقد جائعًا، وبَقِيَ هكذا ثلاثةً أيامٍ لم يَذُق شيئاً، وهو يشكرُ الله.

وبينماكان يصنع خدمته (صلاة الساعات) بالليل، جاءه صوتٌ من السماء يقول له: «لأجل أنك أكملت وصيتي، وغفلتَ عن نفسِك، وأطعمتَ أخاك الجوعان؛ لا يكون في أيامِك غلاءٌ على الأرض كلِّها». فلما أشرق النور، وَجَدَ على الباب جِمالًا مُحمَّلةً خيراتٍ كثيرة. فمجَّد

الله، وشكر الربَّ يسوعَ المسيح. ومن ذلك اليوم عمَّ الرحاءُ الأرضَ كلَّها. رؤيا للقديس أنبا سلوانس:

† وكان الأب سلوانس جالسًا مَرَّةً مع إخوة، وفجأةً أُخِذَ مبهوتًا وسقط على وجهه، ومن بعد حينٍ قام باكياً، فقال له الإخوة: «ما الذي أبكاك يا أبانا»؟ فسكت باكيًا. فلما أكرهوه على الكلام قال: «إني اختُطِفتُ إلى موضع الدينونة، ورأيتُ كثيرين من جنسنا يُساقون إلى العذاب، وكثيرين من العَلمانيين مُنطلقين إلى الملكوت». وناح الشيخُ ولم يشأ أن يخرج من القلاية.

حكمة آباء البرية وإفرازهم تقوم على المحبة:

† حدث مَرَّةً أيضًا أَنْ زار أنبا قاسيانوس (يوحنا كاسيان) والقديس جرمانوس (شيخان من رهبان فلسطين) القديس أنبا شيشوي، فاحتفل بضيافتهما. فسألاهُ: «لأيِّ سببٍ لا تحفظون قوانينَ صومكم في وقت ضيافتكم الإخوة الغرباء، على ما قد عرفناه في بلدنا فلسطين»؟ فأجابهم قائلًا: «إنَّ الصوم معي دائمًا، وأما أنت فلستَ معي دائمًا، والصومُ شيءٌ نافعٌ لازمٌ، وهو من نيَّننا ومن إرادتنا، وأما إكمالُ المحبة فيُطالبنا به ناموسُ الله بلازم الاضطرار؟ فَبِكُم أَقبلُ المسيحَ، ويوجِب عليَّ دَيْنًا لازمًا بأنْ أخدمَه بكلِّ حرصٍ. فإذا شيَّعتُكم (ودَّعتُكم) عليَّ دَيْنًا لازمًا بأنْ أخدمَه بكلِّ حرصٍ. فإذا شيَّعتُكم (ودَّعتُكم) أمكنني استعادة صومي، وذلك أنَّ «أبناءَ العُرسِ لا يستطيعون أن يصوموا ما دام العريسُ معهم، فمتى رُفع الختَن فحينئذٍ يصومون بسلطانِ» (متى ٩: ١٥)».

روح الوحدة في الفضائل المسيحية كانت تسود بين الرهبان جميعًا:

أولم عن القديس مقاريوس الكبير إنَّ إنسانًا أتاه بعنقودٍ مُبكِّرٍ. فلما رآه سبَّح الله وأَمَرَ أن يُرسلوه إلى أخ كان عليلًا. فلما رآه الأخُ فَرِعَ، وهمَّ أن يأخذ منه حبةً واحدةً ليأكلها، لكنه قمع شهوته، ولم يأخذ منه شيئًا، وقال: «خذوه لفلان الأخ، لأنه مريضٌ أكثر مني». فلما أخذوا العنقودَ إليه رآه وفَرِعَ، لكنه قَمَعَ شهوته، ولم يأخذ منه شيئًا. وهكذا طافوا به على جماعة الإخوة، فكان كلُّ مَن أخذوه إليه يعتقدُ أن غيره لم يَرَهُ بعد. وهكذا لم يأخذوا منه شيئًا. وبعد أن انتهوا من مطافهم على الحوة كثيرين، أرجعوه إلى الأب. فلما وجد أنه لم تَضِعْ منه حبةٌ واحدةٌ، سبَّح الله ؟ وأمرَ بقرع جرس الدير ليجتمع الأخوة معًا، ليخبرهم قصة عنقود العنب الذي كشف عمق المحبة والقناعة بين الإخوة وزهدهم.

† وقال القديس يوحنا القصير: «كما أنَّ بُستانًا واحدًا يستقي من ينبوع واحد، تنمو فيه أثمارٌ مختلفٌ مذاقُها وألوانُها؛ كذلك الرهبان فإنهم يشربون من عينٍ واحدة، وروحٌ واحدٌ ساكنٌ فيهم، لكن تُمرهم مختلفٌ، فكلُّ واحدٍ منهم يأتي بثمرةٍ على قدر الفيض المُعطَى له من الله».



أَنْتَ تسأل عن قانون صلاة. نعم، هذا جيد لا بل جيد جدًّا أَنْ يكون لنا قانون صلاة بسبب ضعفنا، حتى، من جهة، لا نَسْتَسْلِمَ للكسلِ، ومن جهة أُخرى نكبح حماسنا إلى ما يناسب. إنَّ مُأرسي الصلاة العظماء حفظوا قانونًا محدَّدا. إغَمَّ مدائمًا يبدأون بقطع مُحدَّدة، وإذا انطلقت خلالها صلاة (إرتجالية) من ذاتما، يضعون هذه القطع جانبًا ويُصلّون هذه الصلاة. كوْنَ هذا ما فعله المُصلُون العُظَماء يعلم سببًا كافيًا لناكي نقوم به. بدون الصلوات المعروفة، لن نعرف كيف نُصلّي، وبالتالي، نبقى بلا صلاة.

في أيِّ حال، ليس المرء بحاجة إلى صلوات كثيرة. إنَّ تلاوة عددٌ قليلٌ من الصلوات بشكل حَسَن، أفضل من الاندفاع بصلوات كثيرة، لأنَّ من الصعبِ الحفاظ على الحرارة في الصلاة عندما نصلي بإفراط.

أنا أرى أنَّ صلوات الصباح والمساء، كما هي في كُتب الصلوات، كافية لك تمامًا. فقط حاول في كُلِّ مَرَّةٍ أنْ تقوم بها بالنباهٍ كُلِّي وأحاسيس منسجمة. ولتكون أكثر نجاحًا في هذا، إمضِ قليلًا مِنْ وقت فراغك في قراءة كُلِّ من هذه الصلوات على حِدَةٍ. تَفَكَّر بها وَخَسَسَهَا، حتى تتعرَّف إلى الأفكار المقدسة التي فيها عندما تتلوها في قانونك. الصلاة لا تعني أن نسرد الصلوات فقط، إنّما أنْ نهضم محتواها في ذواتنا، وننطق بها وكأنها تخرج من أذهاننا وقلوبنا.

بعد أنْ تكون قد استوعبت الصلوات وَأَحْسَسْتَ بَمَا، إعمل على حِفْظِهَا. عندها لَنْ تحتاجَ إلى النور (المصباح أو الشمعة) أو البحث عن الكتاب عند وقت الصلاة، كما وَلَنْ يُشوّش عليك شيء خلال صلاتك، بل تكون المحافظة على التضرع الذهني إلى الله أكثر سهولة عليك. سوف ترى بنفسك كم أنّ هذا يساعد. أنْ يكون كتاب صلواتك معك أينما ذهبت وفي كل وقت هو أمرٌ بالغ الأهمية.

وعند وقوفك للصلاة، مهياً هكذا، إنتبه أنْ تحفظ فكرَك من التيهان وذهنك من البرودة واللامبالاة، مجهدًا نفسك بكل الوسائل لتحفظ انتباهك وتجعل وجدانك حارًّا. قُمْ بقدر ما تُريد من السجدات بعد انتهائك من تلاوة كُلِّ من الصلوات، مُرفِقًا إيَّاهَا بصلاةٍ من أجل إحدى حاجاتك، أو بصلاةٍ قصيرة. هذا سوف يطيل وقت صلاتك بعض الشيء، لكنه يزيد من قوتها. يجب أنْ تُصلِّي قليلًا بكلماتك بعض الشيء، لكنه يزيد من قوتها. يجب أنْ تُصلِّي قليلًا بكلماتك

الخاصة، خاصةً عند نهاية صلواتك، طالبًا الغفران عن شرود الذهن وواضعًا نفسك بين يدي الله طيلة اليوم.

يجب أن تحفظ أيضًا انتباها صلاتيًا نحو الله خلال النهار. لهذا، كما ذكرنا أكثر من مرة، تَذَكَّر الله بصلوات قصيرة.

إِنَّهُ جَيِّد، وجَيِّدٌ جدًّا في بعض الأحيان، أَنْ تحفظ عددًا من المزامير وتتلوها بتركيز فيما أنت تعمل، أو بين العمل والآخر، بَدَلَ الصلوات القصيرة. إِنَّ هذه الممارسة هي مِنْ أقدم العادات المسيحيَّةِ، وهي مذكورة ضمن قوانين القديسين باخوميوس وأنطونيوس.

بعد قضاء النهار على هذا المنوال، يجب أنْ تُصَلِّي با جتهاد أكبر وبتركيز أقوى في المساء. أَكْثِرْ مِنَ السجدات والتضرعات إلى الله، وبعد أن تضع نفسك بين اليدين الإلهتين مُحَدَدًا، إذهب إلى السرير مع صلاة قصيرة على شفتيك، ونَمْ معها أو رتلُ أحد المزامير.

أيٌّ من المزامير يجب أن تحفظ؟

إحفظ تلك التي تنفُذ إلى قلبك عند قراءتما. المزامير تختلف بين شخص وآخر من حيث تأثيرها الشخصي. إبدأ بمزمور «إرحمني يا الله كعظيم رحمتك...» (المزمور الخمسون)، بعدها «باركي يا نفسي الرب، ربي وإلهي لقد عَظُمتَ جدًّا ...» (المزمور ١٠٣)، «سبحي يا نفسي الرب، أُسبِّح الرَّبّ في حياتي...» (المزمور ١٤٥). الأخيران يا نفسي الرب، أسبِّح الرَّبّ في حياتي...» (المزمور ٢٥). الأخيران المقدسة: «الرَّبّ يرعاني فلا يعوزني شيءً...» (المزمور ٢٢)، «للرَّبِّ المُحلِم وبكمالها الدنيا وكل الساكنين فيها...» (المزمور ٢٣)، الأرض وبكمالها الدنيا وكل الساكنين فيها...» (المزمور ١١٥)، والمزمور الأول من صلاة المساء «أللهم اصغ إلى معونتي يا رب أسرع والمزمور الأول من صلاة المساء «أللهم أصغ إلى معونتي يا رب أسرع إلى إغاثي» (المزمور ٢٩). كما أن هناك مزامير الساعات وما شابه. إقرأ كتاب المزامير واختَرْ.

بعد أن تحفظ كل هذه، تكون دائماً مُتَسَلِّحًا بالصَّلاةِ. عندما تحاربك بعض الأفكار، أسرع إلى الوقوع عند قدمي الرَّبِّ إمَّا بصلاةٍ قصيرةٍ أو بأحد المزامير، خاصةً: «أللهمَّ اصغَ إلى معونتي يا رب أسرع إلى إغاثي» (المزمور ٢٩)، وسوف تتبدَّد الغيمة المشوِّشة سريعًا.

إذًا هاكَ كل شيء عن قانون الصلاة.

على كُلِّ حال، سوف أُكرِّرُ مرَّةً أحرى أنَّهُ عليكَ أنْ تَتَذَكَّرَ أنَّ كُلِّ هذه هي أدوات مساعدة، والأمر الأكثر أهمية هو الوقوف في حضرة الله، فيما الذهن يلهج بورع وإيمان، وسجود صادر من القلب.

لقد خطر ببالي شيء آخر أخبرك إياه! قد تحصر كل قانون الصلاة بالسجدات فقط، مع صلوات قصيرة من كلماتك. قف ثم اسجد قائلاً: «يا سيِّد ارحمني»، أو غيرها من الصلوات، معبِّرًا عن حاجتك أو ممجدًا الله وشاكرًا له. عليك أنْ تُحدِّد إمَّا عدد السجدات أو طول الصلاة، أو قمْ بالإثنين معًا حتى لا تُصبح كسولًا.

إِنَّ هذا ضروري، لأنَّ فينا نوعٌ من الخاصيَّةِ غير المفهومَةِ. عندما نباشر بأي نشاط خارجي، تمر الساعات كدقائق. أمّا عندما نقف للصلاة فما أنْ تَمُرَّ بعض الدقائق حتى يبدو وكأننا نصلِّي منذُ وقتِ طويل. هذا الفكر لا يضر عندما نقوم بالصلاة بحسب قانون محدَّد، لكنه يُشَكِّل تجربةٌ كبرى إذا كان المرء يتلو صلوات قصيرة مع سجدات. هذا قد يقطع الصلاة التي بالكاد بدأت، تاركًا وراءها شيئًا من الاعتقاد بأنها قد تمَّت كما يجب.

لهذا أَوْجَدَ ممارِسُو الصَّلاة الجيِّدون المسبحة (كامفوسخيني)، حتى لا يقعوا في هذه الخديعة الذاتية. مسبحة الصلاة هي للذين يريدون تلاوة صلوات من عندهم وليس من كتاب. إنها تُستَعمَل مع ترداد «يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ»، ومع كل مَرَّة، نُحَرِّك حَبَّة بين أصابعنا. كَرِّر هذه الصلاة مَّرَّة بعد أُخْرَى، وَحَرِّك حَبَّة كُلِّ مَرَّة. مع كل حَبَّة إصنع سجدة، إمَّا من الخصر أو إلى الأرض، كما تُفضّل، أو بإمكانك عند الحبّات الصغيرة أن تصنع سجدة من الخصر وعند الحبات الكبيرة سجدة إلى الأرض. فحوى القانون في كُلِّ هذا، هي أنْ تقوم بتكرار الصلاة عددًا محدَّدًا من المرات مع سجدات يُضاف إليها صلوات أخرى بكلماتك. عندما تفكّر بتحديد عدد السجدات والصلوات، حدّد فترة زمنية، حتى لا تخدع نفسك

بالاستعجال خلال قيامك بما. إ**ذا تسلّل الاستعجال،** بإمكانك أنْ تملأ الوقت بمزيد من السجدات.

إنّ عدد السجدات الواجب القيام بما مع كُلِّ صلاة مُحُدّد في نماية كتاب الصلاة لفئتين: الأولى للنشيطين، والثانية للكسالي أو المشغولين. الشيوخ الذين يعيشون بيننا اليوم في الأساقيط والقلالي في أماكن مثل بلعام وسولوفكي يقومون بكامل الخدمة على هذا المنوال. إذا رغبت الآن أو في أي وقتٍ آخر، بإمكانك تطبيق قانون صلاتك مثلهم. مع هذا، قبل أن تقوم بذلك، تعوّد أن تُطبقه بالطريقة الموصوفة لك. قد لا تحتاج إلى قانون حديد. في أي حال، أنا مرسل إليك مسبحة صلاة. جرّبها! لاحظ كم من الوقت تقضى في صلوات الصباح والمساء. قُمْ بتلاوة صلواتك القصيرة مع صلاة المسبحة ولاحظ كم مرة تلف المسبحة خلال الوقت الذي كنت تستغرقه في هذه الصلوات. فلتكن هذه الكمية قياس قانونك. لا تَقُمْ بذلك خلال وقت صلاتك العادي، بل في وقت آخر وبنفس القدر من الانتباه. إذًا، قانون الصلاة هذا يتم بحذه الطريقة: الوقوف

بعد قراءتك هذه الرسالة لا تظن أنني أقودك إلى الدير. أنا شخصيًّا، أول من أحبرني عن صلاة المسبحة كان علمانيًّا وليس راهبًا. كثيرون من العلمانيين والرهبان يصلُّون بهذه الطريقة، ولا شكِّ أنهَّا تناسبك أنت أيضًا.

عندما تتلو صلوات من الذاكرة، وبَجِد أنَّها لا تُحرِّكُكَ، بإمكانك أن تصلِّي هذا اليوم مستعملًا المسبحة، واترك الصلوات المحفوظة ليوم آخر. هكذا تتحسن الأمور.

سوف أُكرِّر مَرَّة أخرى أنَّ جوهر الصلاة هو رفع الذهن والقلب إلى الله، وهذه القوانين هي أدوات مساعدة لا نستطيع الوصول بدونها بسبب ضعفنا.

ليباركك الله.

اليوتّا الواحدة _ أوريجانوس

«لاَ تَظُنُّوا أَيِّ جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا حِمْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَٰةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ: » (مت٥:١٧-١٨).

إِنَّ «النُقْطَةُ الوَاحِدَةُ» ليست حرف اليُوتًا yota في اليونانية فقط، بل أيضًا اليُوْدُ yod في العبريَّة.

ف «اليوتًا الواحدة» أو «النقطة الواحدة» يُطلقان رمزيًّا على يسوع، لأن مَطلَع اسمه يكتبه اليونانيون بـ «اليوتَّا»: 1

ويكتبه اليهود أيضًا بر «اليُودَ»: ١

لذلك يكون يسوع النقطة الواحدة، أي كلمة الله في الشريعة التي لا

تزول من الشريعة حتى يتمَّ الكُلِّ.

لكن «اليؤتًا» (رقم عشرة) قد تكون أيضًا (كما يقول هو نفسه) الوصايا العشر في الشريعة، لأنَّ كل شيء يزول، لكن هذه الوصايا لا تزول.

وكذلك، فإن يسوع لا يزول إذا ما وقع على الأرض (يو ١٢: ٢٤)، لأنه يقع إراديًّا، لكن يأتي بثمر.

وأيضًا فإن «اليوتَّا الواحدة» أو «النقطة الواحدة» تَسودُ على الكل في السماء وعلى الأرض.

المرجع: مقطع 99 من تفسير العلامة أوريجانوس لإنجيل متى، التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، إنجيل متى، منشورات جامعة البلمند. 10



«وَهذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.» (يوحنا ٣٩:٣٩).

إذن يعطينا المسيح بتلك الكلمات نوعًا ما من البرهان، ويعلِّق مُؤَكِّدًا أَنَّ مَنْ يُقبِل إليهِ لَنْ يُخرِجْهُ خَارِجًا. لأَنَّهُ (يقول) لهذا السبب «لأَيِّ قَدْ نَرَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي.» (يوحنا ٣٨:٦).

أي، صرت إنسانًا حسب مسرة الله الآب الصالحة، ورفضتُ أَنْ أَخْرِط فِي أعمال غير موافقة لمشيئة الله، حتى أُحَقِّقُ لهم – أولئك الذين يؤمنون بي – الحياة الأبديّة والقيامة من الأموات، مُحطمًا قُوَّةَ الموت. وأَحْتَمِلُ التحقير من اليهود والشتائم والسباب والإهانات والجلدات والبصاق، والأدهى من ذلك، الشهادة الزور، وآخر الكل، موت الجسد.

تلك الأمور قد اجتازها المسيح بإرادته لأجلنا، لكنه لو كان ممكنًا أَنْ يُتَمِّمَ لنا رغبتَهُ دون معاناة تلك الأمور، لما كان قد تألم. لكن لما كان اليهود عازمين يقينًا وحتمًا إثارة الأمور ضدَّه فإنه يقبل الألم، ويجعل ما أراده ليس ارادته هو، ولأجل ما لآلامه من قيمة، واتفاق مع الله الآب، وموافقته معه على انه سوف يحتمل فورًا كل شيء، وذلك لأجل خلاص الجميع.

هنا نرى بوجه خاص الصلاح الوفير الذي للطبيعة الإلهية، في أُهّا لم ترفض أَنْ يكون ٱختيارها لأجلنا لما هو مرفوضٌ ومزدَرَى به. لكنكم سوف تفهمون لماذا لم يكن المسيح مخلصنا يريد الآلام التي على الصليب، ومع ذلك أرادها لأجلنا ولأجل مسرة الله الآب الصالحة، لأنّة حين كان على وشك الخروج (للآلام) أيضًا، جعل حديثه الى الله (الآب) قائلًا ما قاله في صيغة صلاة:

«يَا أَبْتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرٌ عَنِي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنْ بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ».» (مت ٢٦: ٣٩).

لأنه وهو الله الكلمة، الغير المائت، والغير الفاسد، والحياة ذاتها بالطبيعة، لم يقدر ان يرتعد أمام الموت، وإنِّ اعتقد أَنَّ ذلك واضح للجميع: إذ وهو في الجسد قد جعل الجسد يعاني الأشياء اللائقة به، وأن يسمح له ان يرتعد أمام الموت، حين كان على مشارفه، لكي يُظهر أَنَّهُ بالحقيقة إنسانٌ، لهذا يقول «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرُ عَنِّي هذِهِ

الْكَأْسُ». (وكأنه يقول) إِنْ كان مُمكنًا، من دون معاناة ألم الموت، أَنْ أَهَبَ الحياة للذين سقطوا، و إِنْ كان الموت يموت من دون موتي أنا، بالجسد، أي (كما يقول) فلتعبر عني هذه الكأس، لكن (على حَدِّ قوله) ما دام ذلك لَنْ يحدث، فليكن الأمر إذن، لا كما أريد «أنا» بل كما تريد «أنت».

أنت ترى كم هو مقدار عجز الطبيعة البشرية، حتى في المسيح نفسه، بقدر ما يتعلق بما الأمر. لكن باتحادها بالكلمة قد أعيدت الى ما يليق بالله من إقدام واستعيدت الى غرض شريف، أعني أنَّ الطبيعة البشرية لم تقترف ما يبدو صاحًا لإرادتها هي الذاتية بل بالحري تتبع القصد الإلهي، مهيأة على الفور للركض الى مهما يدعوها اليه ناموس خالقها.

وحتى يكون قولنا قول الحقّ، يمكن لكم ان تتعلموا ذلك مما يلي أيضًا. (إذ يقول) «أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الجُسَدُ فَضَعِيفٌ». (مت ٢٦:١٤). لأن المسيح لم يكن يجهل أنَّهُ لو بداكأنه مغلوب من الموت ويجزع منه، فهذا شيء أدنى كثيرًا من أن يليق بكرامة الله، لهذا الحقَّ بماكان قد قاله أقوى دفاع قائلًا، إِنَّ الجسدكان ضعيفًا، بسبب ما يلائم (طبيعته)، لكن الرُّوح نشيط، عالمًا أنَّهُ يحتمل ما قد يجلب الضرر.

أرأيتم كيف أنَّ المسيح لم يكن يريد الموت، بسبب الجسد، ولا هوان التألم، ومع هذا أراده، حتى يُتَمِّم به مقاصد مسرة الآب الصالحة لأجل العالم أجمع، أي، خلاص وحياة الجميع؟ أَلَمُ يُشِر هو بالحقِّ والصواب إلى شيءٍ من هذا القبيل؟؛ حين يقول أنَّ هذه هي إرادة الآب، أنَّةُ من بين الذين أتى بهم إليه لَنْ يهلك أحدٌ، بل سيقيمه في اليوم الأخير؟ لأنه كما سبق وعلمنا، أنَّ الله الآب في مجبته للإنسان اليوم الأخير؟ لأنه كما سبق والمخلص، لذاك الإنسان الذي يحتاج الحياة والمخلص، لذاك الإنسان الذي يحتاج الحياة والخلاص. تمامًا كما شرح ذلك القديس أثناسيوس الإسكندري: «الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة في الرُّوح القدس».

(فنحن من ناحية، لا نفصل الجسد عن الكلمة، ونعبُد مثل هذا الجسد في حَدِّ ذاته، ومن ناحية أخرى، فإنَّنا لا نفصل الكلمة عن الجسد، ولكننا إذ نعرف أنَّ «الكلمة صار جسدًا» فإننا نعرفه كإله أيضًا بعد أن صار في الجسد).

القديس أثناسيوس الإسكندري



إِتَّسَعَ قلب الرسول بولس كَسَيِّدِهِ، وانفتح بالحبِّ، ليحتضن إِنْ أمكن الكُلِّ. كان مُشتاقًا بالحبِّ أَنْ يقود كل إنسانٍ إلى الله، مُهتمًا باُحتياجاته الزمنيَّةِ والرُّوحيِّةِ. هكذا قدم لنا الرسول نفسه مثالًا نقتدي به، فالمحبة هي سرّ عظمة قداسته.

بالمَحَبَّةِ نَتَشَبَّهُ باللهِ:

أظهر الطوباوي بولس قوة غيرة الإنسان التي تمكنه من الارتفاع إلى السماء، دون مساعدة ملائكة أو رؤساء ملائكة، أو أيّة قوات سماوية أخرى.

تارة يأمرنا أَنْ نتشبه بالمسيح مقتدين به كمثالٍ لنا: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١ كو ١:١١)، وتارة يحذف ذكر نفسه ويقودنا مباشرة إلى الله، قائلًا: «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأُولادٍ أُحِبَّاءَ» (أف ١:١٠). ولكي يوضح لنا أنَّهُ لا شيء يماثل هذه القُدْوَةِ بأن نفكر في الآخرين وفي الصالح العام، أضاف: «اسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ» (أفس و:٢). فبعد حديثه الأول: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي»، ينتقل مباشرة إلى الحديث عن المحبة، موضحًا أن هذه الفضيلة تجعل الإنسان متشبهًا بالله.

المحبة أعظم الفضائل

لاحظ كمّ الفضائل الأخرى التي تقل في أهميتها عن المحبة، هذه التي يرتكز مجورها حول جهاد الإنسان ذاته ضد الشهوات، ومقاومته للنهم، والجهاد ضد محبة المال والغضب. أمَّا المجبة فهي فضيلة يشترك فيها الإنسان مع الله ذاته. لهذا يقول المسيح: «صَلُّوا لأَجْلِ النَّيْنَ يُسِيتُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥:٤٤-٥٥).

محبة الأعداء كمرضى

﴿ سُرِّ مُحِبَةُ الرسولُ لَمْقَاوِمِيهُ أَنَّهُ يُمَارِسُ حَيَاتُهُ كَطْبَيْبُ يَتَرَفَّقَ بَمُمُ كَمُرضَى يُحَتَاجُونَ إِلَى الْحُبِّ وَالْلُطْفِ كَعَلَاجٍ، أَو كَأْبِنَاءَ مُخْبُولِينَ فِي عَمُولِينَ فِي عَقُولُهُم يُحَتَاجُونَ إِلَى مَن يَتَرَفَقَ بَمُم. ﴾

إِكتَشَفَ بولس أَنَّ المحبة هي تاج الفضائل، فَسَعَى إِلَى غَرْسِهَا بعنايةٍ فائقةِ.

لا يمكن لأحدٍ أَنْ يَحبَ أعداءهُ، ولا أَنْ يُحسن إلى مبغضيهِ، ولا أَنْ يَحسن إلى مبغضيهِ، ولا أَنْ يتألم من أجلِ المسيئين إليه. لكنه إنْ تذكر الطبيعة البشرية المشتركة بينهم لا يبالي بالآلام التي يسببونها له، فكلما ازدادوا قُسوة عليه ترفَّق بحم. فالأب يحزن بالأكثر ويكتئب على إبنه المختل كُلَّما أزداد جنون ألابن وعنفه.

لقد شَخَّص بولس المرض الذي يُسبِّب تلك الهجمات الشرسة ضده، فأزداد أهتمامه بهم ورعايتهِ لهم كمرضى.

نسمعه وهو يخاطبنا بلطف وحنان فائق عن الذين جلدوه: «مِنَ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلاَّ وَاحِدَةً.» (٢ كو ٢٤:١١) ، ورجموه وقيّدوه وسفكوا دمه، واشتهوا تقطيعه إربًا، فيقول عنهم: «لأَيِّ أَشْهَدُ لَمُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرةً لِلهِ، وَلكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ.» (رو ٢:١٠). وأيضًا ضَيّق على الذين يُسيئون إليهم، قائلاً: «لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ حَفْ!، لأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقُ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا!» كَانَ اللهُ لَمْ يُشْفِقُ عَلَى الأَغْصَانِ الطَّبِعِيَّةِ فَلَعَلَّهُ لاَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ أَيْضًا!» (رو ٢:١٠، ٢١). وحينما رأى الدينونة الواقعة عليهم لم يسعه إلَّا أَنْ يعمل ما يقدر عليه، وهو أَنَّهُ بَكَى وناح من أجلهم بلا توقف.

لقد نَاحَ وبَكَى مِرارًا عليهم، وقاوَم كُلّ رغبةٍ في مقاومتهم، وبَذَلَ كُلّ جهده لِيَجِدَ هم شبه عُذر، ولما فَشِلَ في إقناعهم بسبب قسوة عنادهم لجأ إلى الصلاة الدائمة، قائلًا: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلِبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْحَلاصِ.» (رو ١:١٠). ثم منحهم الرَّجاء في أمورٍ أفضل، قائلًا: «لأَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتُهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ.» (رو ١:١٠)، وذلك لئلا يفقدوا رجاءهم فيموتوا.

هذا كُلَّه يبرهنُ على شخصية اهتمت بخلاصهم واعتنت بمم بدرجة فائقة، فيقول: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ.» (إشه ٥: ٢٠ رو ٢٦:١١).

كان رؤيتهُ لعقوقهِم مصدرًا عظيمًا لآلامِه وحزنه. وكان الملجأ الدائم هو العلاج من الآلام بقوله: «سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِدُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ.» (رو ٢٦:١١). وفي موضع آخر يقول: «فَإِنَّهُ كَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ (الأمم) مَرَّةً لاَ تُطِيعُونَ الله وَلكِنِ الآنَ رُحِمْتُمْ بِعِصْيَانِ هؤلاءِ (اليهود)، هكذا هؤلاءِ (اليهود) أَيْضًا الآنَ، لاَ يُطِيعُوا لِكَيْ يُرْحَمُوا هُمْ أَيْضًا بِرَحْمَتِكُمْ. لأَنَّ الله أَغْلَقَ عَلَى الْجُمِيعِ مَعًا فِي الْعِصْيَانِ، لِكَيْ يَرْحَمَ يرْحَمَ

الْجَمِيعَ» (رو١١:١١).

يَفْتَحُ بَابَ ٱلرَّجاءِ أَمَامَ ٱلْمُعَانِدِينَ

لقد فعل إرمياء النبي نفس الشيء، مُحاولًا التماس المغفرة للخطاة، فقال: «وَإِنْ تَكُنْ آثَامُنَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا يَا رَبُّ، فَاعْمَلْ لأَجْلِ اسْمِكَ» فقال: «وَإِنْ تَكُنْ آثَامُنَا تَشْهَدُ عَلَيْنَا يَا رَبُّ أَنَّهُ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ طَرِيقُهُ. لَيْسَ لِإِنْسَانِ يَمْشِي أَنْ يَهْدِي خَطُواتِهِ.» (إر ٢٣:١٠)، وداود النبيّ لإِنْسَانٍ يَمْشِي أَنْ يَهْدِي خَطُواتِهِ.» (إر ٢٣:١٠)، وداود النبيّ يقول: «لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ ثَحْنُ.» (مز يقول: «لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ ثَحْنُ.» (مز

من عادة المتضرعين عن الخطاة، أَنَّم إذْ لا يَجدون أَمرًا صالحًا يقولونه في حقِّهِم، يبحثون عن أيِّ ظلِ لعذر لهم حتى وإن كان ليس صحيحًا حرفيًّا أو لاهوتيًّا، لأن ذلك يُحسب نوعًا من العزاء للنائحين على عناد الخطاة. إذًا لا تفحص الكلام حَرْفيًّا، لكن ضَعْ في ذِهْنِكَ أَنَّا كلمات تصدر عن نفسٍ مُرَّةٍ تسعى أن تجد فرصة لإنقاذ الخطاة، وَحُكْمًا عادلًا لحسابهم.

تَرَفُّقَهُ بِٱلْجَمِيعِ

هل تظن أنَّ هذه هي مشاعره نحو أعدائه فقط أم أنه يحمل ذات المشاعر نحو الغرباء؟

كان بولس من أكثر الناس عذوبة نحو الغرباء والأقرباء على السواء. لنسمع كلماته لتيموثاوس: «وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُترَفِّقًا بِالْخَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ المُمْقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيمُهُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحُقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِ إِبْلِيسَ إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمُ لإِرَادَتِهِ.» (٢ تي ٢ : ٢٤ - ٢٦).

أتريدَ أَنْ تعرف كيف كان مُترفقًا بالخطاة؟ إِسْمَعْ ما يقوله لأهل كورنثوس: «لأَنِي أَخَافُ إِذَا جِئْتُ أَنْ لاَ أَجِدَكُمْ كَمَا أُرِيدُ، وَأُوجَدَ مِنْكُمْ كَمَا لاَ تُرِيدُونَ.» (٢ كو ٢:١٢). يقول بعد ذلك: «أَنْ يُذِلَّنِي إِنْكُمْ كَمَا لاَ تُرِيدُونَ.» (٢ كو ٢:١٢). يقول بعد ذلك: «أَنْ يُذِلَّنِي إِنْكُمْ كَمَا لاَ تُرِيدُونَ.» (أَنْضًا وَأَنُوحُ عَلَى كَثِيرِينَ مِنَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَتُوبُوا عَنِ النَّجَاسَةِ وَالرِّنَا وَالْعَهَارَةِ الَّتِي فَعَلُوهَا.» (٢ كو ٢١:١٢). وكتب إلى أهل غلاطية: «يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَمَّخَصُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ.» (غلا ١٩:٤).

وكما ينوح الخاطئ على خطاياه، هكذا بكى بولس على الرجل الذي ارتكب الزنا، مؤكدًا له: «لِذلِكَ أَطْلُبُ أَنْ ثُمَكِّنُوا لَهُ الْمُحَبَّةَ.» (٢ كو ٢٠٨). وحتى حين حَرَمَهُ فعل هذا آسفًا بدموع: «لأَيِّي مِنْ حُرْنِ كَثِيرٍ وَكَابَةِ قَلْبٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، لاَ لِكَيْ تَخْزَنُوا، بَلْ لِكَيْ تَغْزَنُوا، بَلْ لِكَيْ تَغْزِنُوا، بَلْ لِكَيْ وَلاَ سِيَّمًا مِنْ خَوْكُمْ.» (٢ كو ٢:٤). تَغْفِوا اللهَحَبَّةَ النَّامُوسِ لاَّرْبَحَ النَّامُوسِ قَلْقَادِينَ بِلاَ نَامُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَامُوسٍ كَأَيِّ بَلاَ نَامُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ كَأَيِّ بِلاَ نَامُوسٍ مَعَ أَيِّ لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ اللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ كَأَيِّ لِلْمُنْ عَلْ لَلْمُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ لَلْمُعْمَ كُلِّ خَلْ عَلْ مُوسٍ لَلْهُ بَلْ لَامُوسٍ مَعَ أَيِّ لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ اللهِ، بَلْ ثَعْتَ نَامُوسٍ لللهِ، بَلْ ثَمْوسٍ لللهُ مَلْ اللهُ عَلْمَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا.» الضَّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخلِصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا.» الضَّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخلِصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا.» (١ كو ٢٠٠ - ٢٢). وفي موضع آخر يقول: «لِكَيْ خُضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامُوسٍ كَاللهُ فِي الْمَسِيح يَسُوعَ.» (كولُسي ٢٨٤١).

أُبُوَّةُ عَمَلِيَّةٌ لِكُلِّ ٱلْبَشَرِيَّةِ

لقد رأيتم إنسانًا جاب الأرض كلها، لأنَّ طموحَهُ وهدفه هما أنْ يقود كُلِّ إنسانٍ إلى اللهِ. وقد حقَّقَ بِكُلِّ ما آدَّخَرَهُ من قوَّةٍ هذا الطموح، وكأن العالم كله قد صاروا أبناءه، لهذا كان على عجلة من أَمْرِه. كان دائم الحماس لدعوة كُلِّ البشريَّةِ لملكوت السماوات، مُقدمًا الرِّعاية والنُصح والوعود والصلاة والمعونة وانتهار الشياطين، طاردًا الأرواح المصرة على التحطيم. إستَحْدَمَ إمكانيَّته الشخصيَّة ومظهره والرسائل والوعظ والأعمال والتلاميذ وإقامة الساقطين بجهده الشخصي. فكان يسند المجاهدين ليثبتوا في الساقطين بجهده الشخصي. فكان يسند المجاهدين ليثبتوا في ويعزي المتألمين، ويحذّر المعتدين، ويراقب بشدَّة المقاومين والمعارضين. ويعزي المتألمين ويحدِّر المعتدين، ويراقب بشدَّة المقاومين والمعارضين. يدافع أو يرشد حسب الحاجة في ساحة العمل، فكان كُلِّ شيءٍ يدافع أو يرشد حسب الحاجة في ساحة العمل، فكان كُلِّ شيءٍ للمنشغلين بالصراع.

دَعْوَةُ ٱلْآخَرِينَ لِمُسَاعَدَةِ ٱلْغَيْرِ

وَ لَمْ يَقَفَ الرسول بولس عند نزوله إلى حلبة الجهاد ليسند كل المصارعين بوسيلة أو أخرى حتى يحقّق الكُلّ النجاح، لكنه دَعَى الآخرين أن ينزلوا معه ليسندوا اخوتهم، مظهرين الحبّ العملي لهم. بذل عناية فائقة لاحتياجات (المصارعين) الزمنيَّة والرُّوحيَّة. إِسْمُعهُ كيف يناشد الجميع بخصوص امرأة واحدة، فيقول: «أُوصِي إلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيمِي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْجَرِيَا، كَيْ تَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ كُمَا يَحِقُّ لِلْقِدِيسِين، وَتَقُومُوا لَمَا فِي أَيِّ شَيْءٍ احْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ، لِأَنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا.» (رو ١١:١٦). وأيضًا: وَأَلْتُمْ تَعْوِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ وَأَلْتُهُمْ الْكِذَةِ الْقِدِيسِين، كَيْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ تَعْوِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ أَخَائِيةَ، وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِيسِين، كَيْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ بَعْوِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانَاسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ أَخَائِيةَ، وَقَدْ رَتَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِخِدْمَةِ الْقِدِيسِين، كَيْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ الْمِثْلِ هُؤُلاَءِ» (١ كو ١٠٤١١).

من خصائص محبة القديسين مساعدة الآخرين في الأمور الزمنيَّةِ، فإليشع النبي ساعد ماديًّا وروحيًّا المرأة التي استضافته (٢مل٤:٢١)، فقال لها: «هُوَذَا قَدِ انْزَعَجْتِ بِسَبَبِنَا كُلَّ هذَا الانْزِعَاجِ، فَمَاذَا يُصْنَعُ لَكِ؟ هَلْ لَكِ مَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ أَوْ إِلَى رَئِيسِ الجُيْشِ؟» (٢ مل ١٣:٤).

اهْتِمَامُ بُولُسُ بِٱحْتِيَاجَاتِ ٱلْآخَرِينَ ٱلْمَادِيَّةِ

لماذا تَعْجَبْ من بولس إنْ كان يدعو البعض إليه ويهتم باحتياجاتهم الماديَّة، ولا يحسب هذا خارج دائرة مسئولياته، كما يُشير في إحدى رسائله. فقد كتب إلى تلميذه تيطس: «جَهِّزْ زِينَاسَ النَّامُوسِيَّ وَأَبُلُّوسَ بِاجْتِهَادٍ لِلسَّفَرِ حَتَّى لاَ يُعُوزَهُمَا شَيْءٌ.» (تي ١٣:٣). فإن كان قد بذل مثل هذه العناية في رسائله فقد ضاعفها بالأكثر حين كان يجد رعاياه في خطر. لاحظ مدى رعايته لأنسيمُس (في ١٠)، وبأي إلحاح واهتمام يذكره في رسالته إلى فليمون. تأمل ماذا كان بولس يفعل للآخرين إن كان قد كَرَّسَ رسالة كاملة من أجل عبدٍ هاربِ بعد سرقة سيّده.

اهْتِمَامَهُ بِخَلاص ٱلْنَّفْس فَوْقَ كُلِّ ٱعْتِبَارِ

كان يعتبر أمرًا واحدًا مُشينًا، وهو أَنْ يُهتم بشيء أكثر من الخلاص. لهذا لم يترك حجرًا لم يُحركه، ولا ٱدَّخر وِسْعًا من أجل خلاص الناس، سواء بالوعظ أو العمل، حتى لم يبخل بحياته. لقد عَرَّضَ حياته للموت مرات عديدة، ولم يتردَّد في إنفاق أي مالٍ إن كان يمتلكه! ولماذا أقول: «إن كان يمتلكه»؟ لأنه كان يُعطي بسخاء. ليس في هذا تناقض، لكن اسمعه يقول: «وَأَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ سُرُورٍ أُنْفِقُ وَأُنْفَقُ لأَجْلِ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ.» تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ.» (٢ كو٢١:٥١)، وخاطب أهل أفسس قائلاً: «أَنتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ.»

بُولُسُ مَحَبَّةٌ مُتَجَسِّدَةٌ!

في عظمته كان أكثر توهُّجًا وَغِيرَةً مِنْ أَيَّةِ شُعْلَةِ نارٍ. ومن جهة إكليل كل الفضائل فقد فاق في المحبة (كل الفضائل). وكما ينصهر الحديد في النار فيصير الكل نارًا ملتهبة، هكذا انصهر بولس في المحبة حتى صار هو نفسه محبة متجسدة. صار كأنه أَبْ عام للعالم كلّه. نافست محبّته محبة الآباء بالجسد، أو بالأحرى فاقهم جميعًا في المحبة الجسديَّة والرُّوحيَّة، وفي الاهتمام والرعاية باذلًا كل ماله وكلماته وجسده وروحه، بل وكل كيانه من أجل الذين يحبهم.

بُولُسُ يَهْتَمُّ بِوَصِيَّةِ ٱلْمَحَبَّةِ

لقد دعا المحبة كمال الناموس (رو۱۰:۱۳)، ورباط الكمال (كو ١٤:٣)، وأُمّ البركات، وبدء ونهاية كل الفضائل (رؤ ٢:٢١). «وَأُمّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلاَ تَشْهَدْ بِالرُّورِ، لاَ تَشْتَهِ»، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةً أُخْرَى، هِيَ بَحْمُوعَةٌ فِي هذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ يُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (رو ١٩:١٣). بالتالي فإن المحبة هي بداية أصل البركات ونهايتها، لنقتدي ببولس في محبته، فإنها سرّ قداسته. لا تحصوا عدد من أقامهم من الأموات، أو عدد البرص الذين أبرأهم، فإن الله لا يطلب منك تلك الأعمال، فقط اقتنِ المحبة التي لبولس، فتحصل على إكليل الكمال. من قال هذا؟ زارع المحبة التي نفسه، الذي قدمها بدلائل وعجائب وبركاتٍ لا تحصى. لأنه أكمل نفسه، الذي قدمها بدلائل وعجائب وبركاتٍ لا تحصى. لأنه أكمل عليه، ولم يُدعّم صلاحه سوى تلك الفضيلة القوية. لهذا يقول: هوكنْ حِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ.» (١ كو ٢١:١٣)، أي المحبة التي هي أسمى السبل وأروعها.

لنحفظ هذا الطريق فنرى بولس أو بالأحرى رَبّ بولس نفسه، فنفوز بالأكاليل غير الفاسدة، وذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ولطفه، الذي له القوة والمجد الآن وإلى أبد الأبد، أمين.



السيِّد ليونيداس ميترو، دوميتيو ٤٨، «آچيوس دوميتوس». ٣٣٧٣، قبرص يتحدَّث مع رئيسة دير ماليڤي العامر للروم الأرثوكس قائِلًا:

إحدى العائلات الصديقة هنا في قبرص، طلبوا منّا أن نُعطيهم الميرون المقدّس والعجائبي من دير العذراء ماليڤي للروم الأرثوذكس في أركاديا – بيلوبونيسوس في اليونان، الذي كان عندنا من ذي قبل، لِدَهن ولشفاء إبنتهم ماريّا. التي تعاني من ورم سرطاني خبيث، والتي كانت مزمعةٌ للسفر إلى بريطانيا العُظمى، لاستئصال هذا الورم المتحذّر عميقًا داخل الأُذن.

وفعلًا أعطينا هذه العائلة الكريمة قطعة من القطن المشَبَّع بالميرون العجائبي، من القطعتين اللتيْنِ في حوزتنا، وبعد استلامهم لهذه القطعة من القطن، رشمت ماريًّا نفسها بعلامة الصليب المقلس بإيمانٍ وتقوى

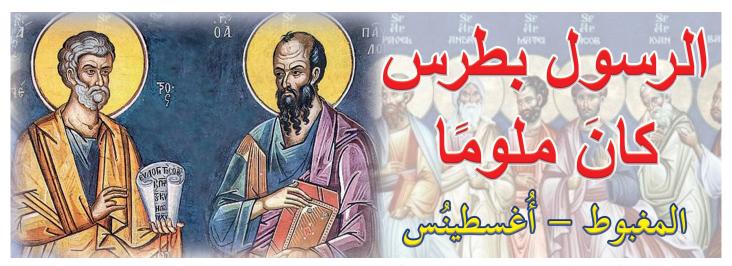
وصلاةٍ حارَّةٍ، طالبةً من العذراء مدِّ يد الشفاعة والمعونة.

بعدها سافرت إلى بريطانيا بصحبة الميرون المقدَّس الذي احتفظت به بكل عنايةٍ واهتمامٍ شَدِيدَيْنِ. لتقوم بإجراء الفُحوصات ثانيةً قبل العمليَّة الجراحيَّةِ هناك؛ وهكذا حَصَلَ.

لَمْ يصدِّق الأطباء نتائج الفحوصات الإيجابيَّةِ، لأنَّ هذا الورم الخبيث قد تلاشى نحائيًّا، وهكذا تقرَّر باللحظة الأخيرة بِعَدَم إجراء العمليَّة الجراحيَّة، لأنّ الأذن في حالة جيِّدة، أشار الأطباء أيضًا أنَّ هذه العملية كانت ستستغرق ستة ساعات على الأقل.

إنَّ ماريًّا التي تعافت من هذا الورم الخبيث قالت:

إنَّها عجيبة كُبرى صنعتها لي العذراء مريم، قالت هذا وهي تشكر العذراء بحرارةٍ وإيمانٍ ودموع على هذه المعونة والشفاعة التي لا توصف.



« وَلَكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْنُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا. لأَنَّهُ قَبْلُمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمْمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتُواكَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، حَائِفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْجَتَافِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيهُودِ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضًا انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ لَكُونَ بَاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ لَقُدَّامَ الْجَمِيعِ: ﴿إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيُّ تَعِيشُ أُمُمِيًّا لاَ يَهُودِيًّا، فَلِمَاذَا تُلْرُمُ الأَمْمَ عُطَاةً، تَلْمُ اللَّمُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لِأَنْتَ بَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ مَسِيحٍ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ مَسِيحٍ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بُعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بإيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ بِرُّ، فَالْمَسِيحُ إِذًا مَاتَ بِلاَ سَبَا!» (غلا ٢)

عندما جاءَ بطرس إلى أنطاكية، وُبِّخَ من قِبَل بولس، لا لمراعاة العوائد اليهودية التي فيها ولد ونشأ – بالرغم من عدم مراعاته لها بين الأمم بل لكونه يريد أن يفرضها على الأمم. لقد فعل بطرس ذلك بعد رؤيته بعض الناس الذين قَدِمُوا من عند يعقوب (أي من اليهودية، إذ أنَّ يعقوب كان يترأس كنيسة أورشليم). بطرس خَشِيَ مِنْ هؤلاء الناس الذين كانوا لا يزالوا يعتقدون أنَّ الخلاص يعتمد على الممارسات والتقاليد اليهودية. ونتيجة لذلك، أَفْرَزَ نفسه من الأمم، وتظاهر بموافقته على أنَّهُم يجب عليهم تحمُّل تلك الأعباء الاستعبادية – وهذا الأمرُ واضحٌ بما فيه الكفاية من توبيخ بولس.

إذْ أَنَّهُ لم يَقُلْ: «إذا كنت وأنت يهودي تعيش أُممِيًّا لا يَهودِيًّا كيف يمكنك العودة إلى عادات اليهود؟» بل بالأحرى قال: « فلماذا تُلزم الأمم أن يتهودوا؟». كان من الضروري له أن يقول هذا لبطرس أمام الجميع، حتى يتسنَّى له من خلال توبيخ بولس تصحيح الوضع بالنسبة للجميع. لأنه يستحيل أن يكون التصحيح بشكل خاص مفيدًا؛ نظرًا لأنَّ الخطأ تسبَّب في الضرر بشكل علني. وأودُّ أنْ أُضيفَ أَنَّ بطرس لذي قال له الرَّبِ ثلاث مرات: أتحبني؟ أرع خرافي – بدافع من المحبة والصمود، كان على أتمة الاستعداد بأنْ يتحمَّل هذا التوبيخ من راع أصغر لخلاص الرَّعِيَّةِ.

عُلاوة على ذلك، أَتَبَتَّ بطرس بتحمله للتوبيخ أَنَّهُ جديرٌ بالاعجاب جدًّا، بل ويصعب التشبُّه به. لأنَّهُ من السهل أن ترى ما تَودّ تصحيحه في شخص آخر وتشرع في القيام بذلك بتوجيه الَّلوم

والنقد، غير أنَّهُ من الصعب جدًّا أن ترى ما يجب تصحيحه في نفسك، وأن تكون مُستعدًا لهذا التقويم، حتى بواسطة ذاتك، ناهيك عن أن يكون التصحيح بواسطة آخر، بل وآخر أصغر منك، وكل ذلك أمام الجميع!

هذه الحادثة هي بمثابة مثال عظيم على التواضع – الفضيلة الأثمن التي يتدرب عليها المسيحي – إذْ أَنَّ المحبة تكون محفوظة بواسطة التواضع. ولا شيء ينتهك المحبة هكذا بسرعة مثل الكبرياء. ولذلك، التواضع. ولا شيء ينتهك المحبة هكذا بسرعة مثل الكبرياء. ولذلك، لم يقل الرَّبِّ: «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني، لأني أقيم جثث لها أربعة أيام من القبر، وأخرج الشياطين والأمراض من أجساد الناس، وأشياء أخرى من هذا القبيل»، بل قال بالأحرى: «احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ،» (مت ٢٩:١١). فالأعمال الأولى مِنِّي، لأنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ،» (مت ٢٩:١١). فالأعمال الأولى مي آيات الحقائق الروحيَّة، أما أن تكون وديعًا ومتواضعًا ومحافظًا على المحبة فهذه هي الحقائق الروحيَّة ذاتها. فالناس الذين أصبحوا مستغرقين في الأمور الجسدية وعاجزين عن التأثُّر بما هو عادي ومألوف، يتم هدايتهم بمثل هذه الآيات نحو الحقائق، وذلك عندما توقظهم الحوادث الجديدة غير المتوقعة (المعجزات) نحو التماس توقظهم الحوادث الجديدة غير المتوقعة (المعجزات) نحو التماس الإيمان بالأشياء غير المؤيَّة.

هكذا وبالتالي، إذا تعلّم أيضًا أُولئك الذين كانوا يحاولون إجبار الأمم على العيش كاليهود، ما تعلمَهُ بطرس من الرّب – كيف يكون وديعًا ومتواضعًا – يُمكنهم أن ينجذبوا بمثال تصحيح هذا الرَّجل العظيم فيقتادوا به ولا يفترضوا أَنَّ إنجيل المسيح هو نوعٌ من الدين الذي يُدفع نظير بِرِّهِم. بَدَلًا من ذلك، يتعلمون: «أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَوَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،» – أي أَنَّ الشخص يُحَقِّق أعمال الناموس لا بأستحقاقه الشخصي بل بنعمة الله – ومن ثم لا يطالبون الأمم بالالتزام بشعائر الناموس الجسدية، عالمين أنَّ الأمم يمكنهم تحقيق أعمال الناموس الروحيَّة من خلال نعمة الإيمان.

«يقول الكتاب أنَّ الله امتحن إبراهيم. فَلِمَ امتحنه؟ أَلَمْ يعرف الله أنَّ إبراهيم كان إنسانًا نبيلًا؟ فلماذا امتحنه؟

امتحنه لكي يظهر للملأ فضيلته وقياديته. وهنا يظهر سبب التجارب،لئلا يظن الناس أنهم يتألمون كمنسيين.» القديس يوحنا ذهبي الفم



إبراهيم أب الآباء



سألت راهبة: كيف نُطَبِّق عبارة «لا وجود لي» التي لا تنفكيّن تقولينها لنا؟

- سأقول لكنّ كيف. هذا الأمر أدركتُهُ تمام الإدراك حلال السنوات العشرين الأخيرة من حياتي. عندما يأتي أحدهم ويُكلِّمُكِ عمّا يُؤْلِمَهُ، فيما ذهنك مأخوذ بمسألة تخصّك، باطلًا تتعبين، لأنَّكِ لَنْ تستطيعي أنْ تُساعِديه أبدًا. أمّا عندما تنسين أنَّ لَكِ وجود، وتصبحين أنت ذلك الإنسان عينه، سَيَّانَ إنْ يكن لصًّا أو كذابًا، أو مُجرمًا، حينئذ تدخلين إلى أعماقه وتقولي: «يا إلهي! يا له من مسكين! كيف له أنْ يتخلّص مِنْ مشكلتِهِ؟» حينئذ تبدئين تقولين ما يلي، لا عن دينونة، ولا يتخلّص مِنْ مشكلتِه؟» حينئذ تبدئين تقولين ما يلي، لا عن دينونة، ولا عن حكم على الآخر، ولا عن حقد: « ألم يَقُل المسيح إنّه صار إنسانًا ليعتق الإنسان من شقائه، وشروره وما إلى ذلك؟»؛ حينئذ تصيرين وإيّاه واحدًا.

وهذا الإنسان الذي أتى إليك فاقد الرجاء قانطًا، يذهب من عندكِ فرحانًا، لأنه يعرف أَنَّ المسيح معه، وأنه سيواجه مشاكله بطريقة محتلفة.

إذًا، عندما تَضَعِينَ نفسك مكان الآخر، يذهب من عندك واحد ويأتي إليك ثانٍ، فثالث، فرابع، وخامس ...وعند المساء تقولين:

« تُرى، أيّ هؤلاء أنا؟ ولا واحد منهم!

فمن أنا إذًا ؟ أنا لا أحد. يا له من خبر طريف!

حينئذ أقول في نفسي: هيّا لِأُحَدِّقَ في المسيح، رغم أنَّهُ لا وجود لي. فذلك لا يهمني»!

هذا ما قلته مرّة واثنتين وثلاث مرات. ويسألني الناس:

أتشعرين بالبرد؟ ومن هذا الذي يشعر بالبرد؟ فأنا لا وجود لي!

أتشعرين بالجوع؟ فأنا لا وجود لي!

أيزعجكِ التلوث في الهواء؟ ومن الذي يزعجه التلوث؟ فأنا لا وجود لي !

فيظن أولئك أنّني معتوهة ...

لكن ذات يوم، فيما قلبتُ صفحة جديدة من الرزنامة الكنسيَّةِ، وقعت على قول للقديس نيلوس: « مَن يعرف نفسه حَقَّ المعرفة هو

من يحسب أنَّ لا وجود له».

فصحتُ: « المجد لك يا الله! سأقصه وأعلّقه على الحائط. ولن أقول بعد اليوم إنَّهُ لا وجود لي، بل أنَّ القديس نيلوس يقول ذلك ...»

- وكيف نتدرب على هذا الإمّحاء من الوجود؟

- وماذا إذا كنتِ فعلًا تعانين من وطأة الحرّ؟

- لا تقولي لأحد! أولًا لأنَّ الكلام لَنْ يساعدك عن التخلُّص منه، وثانيًا، لأنك ستشعرين بالحرِّ مضاعفًا! أفهمت ما أقول؟ إنَّكِ بهذا الكلام تعظّمينه، وتعطينه كيانًا، كأنَّكِ تجعلين منه «جلالة الحرّ» أو «جلالة التعب»! أو «جلالة الجوع»! ما هذا؟! أمَّا أنا، فحتى التي تقيم معي لا تعرف ما بي. بتاتاً. قد أقضي الليل كله في الألم، وعند الصباح، لا يعلم أحد ما جرى لي. ولماذا أتكلم عن الأمر، وقد انتهى؟ وما النتيجة؟ ... قد أشعر بالإرهاق الشديد، ومازال لديّ أشخاص كثيرون أساعدهم .. فما الفائدة من قولي لك: «لم أعد أحتمل، أنا مرهقة»! فأنت لا تستطيعين شيئًا!

- أليس الفرح عنصرًا أسَاسيًّا من عناصر الديانة المسيحية؟ أليس المؤمن بالمسيح في فَرَح دائم؟

- نعم، فقد قال المسيَح: «سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا.» (يو ١٤: ٢٧). وفوق ذلك قال: فرحي أعطيكم، لا كما بفرح العالم، «لا يَنزِع أحدٌ فرَحَكُم منكُم» (يو٢١:١٦).

يعني أنّ هذا الفرح ينبع من الداخل، مثل نعمة الله. فنحن لا ننتظر الفرح من الآخر، لأنّ المسيح يعطينا إياه.

- هذا ما لفت انتباهي. فرغم أنَّكِ تشاهدين مَرضى وفقراء وسقماء كل يوم أراكِ فرحانة.

- أجل، ذلك أنّي أحب هؤلاء الذين أراهم من كل قلبي، وَأُتحِد حياتهم بحياتي. وفي الوقت نفسه أُفكّر أنَّهُ إذا استطعتُ أَنْ أحبهم بهذا

المقدار، وأنا خاطئة من بني المائتين، فكم يحبهم الله بالأحرى؟ هو خالقهم، وهم أبناؤه، بكلام آخر، هو يسهر عليهم أوَّلًا. يعرف سبب مرضهم، ويعرف ما سينتج عن هذا المرض. إنَّهُ تعالى أدرى بكل أمر وغايته. وأنا لا يسعني أن أتجاوز هذا الحدّ، لا في فهم الأمور، ولا في الحُكْم عليها. أتعلمون ماذا أفعل؟ أُدْخِل ذاك المريض إلى أعماقي، الحُكْم عليها. أتعلمون ماذا أفعل؟ أُدْخِل ذاك المريض إلى أعماقي، أرفع من أجله صلاة حارة متقدة، أضع فيها كل ما عندي من المحبة، وأستودع هذا الإنسان قدمي المسيح بقولي: «يا إلهي، أنت هب نعمتك لولدك هذا، هبه غفرانك، هبه رحمتك، هبه النور، هبه صحة النفس والجسد، وأظهر مشيئتك في حياته».

فأحيانًا عندما لا تظهر مشيئة الله في حياة أحد الناس، يمرض مرضًا مُزمنًا، حتى يتعلّم من خبرته. لأنّهُ مراراً كثيرة، وأنت في السرير، يتسنّى لك أن تفرد بذاتك، وقد تجد جوابًا لمسألة هامة. فالذين يقضون وقتًا طويلاً في السرير، يدركون قيمة هذه العطيّة بالنسبة لنفسنا الخاطئة. وهذا ما جرى لي كثيرًا في طفولتي. فالخطيئة تقتضي تطهيرًا. وفيما نجلس في السرير، ننعم بالوحدة. لا لقاءات، ولا انطباعات خارجية، وما سوى ذلك .. وهذا كله يساعدنا ..

إذًا، كما قلت، أُصَلِّي تلك الصلاة، وأُسَلِّم ذلك الإنسان ليمين الله. وهل يمكنني أن أفعل المزيد؟ كَلَّا! فمتى أتممتُ هذا الفعل، لا يعود يتغيّر فرح الله من بعد. لا أستطيع أنْ أبكيه. أستطيع أنْ أبكي خطاياي يتغيّر فرح الله من بعد. لا أستطيع أنْ أبكي أحدٌ سواي من دائمًا، وأنْ أستغفر الله. وذلك أمْرٌ آخر. أمَّا أنْ أبكي أحدٌ سواي من أبناء الله، فكلًّا .. أجل إنِّي أشعر معه من كل قلبي، وهذا التعاطف يؤول بي إلى الصلاة .. وتكون الصلاة اتحادًا بالله ... في هذا العالم، يريدنا الله أنْ نُحبّ حتى يصنع عجائبه. فعلًا يريد أن تتحد به نفس بشريَّة، وهذا ما يراه الكهنة ورجال الله يلمسون تغييرًا في حالة الإنسان الذي تُقام الصلاة من أَجْلِه، ولو فَصَلَتْ بينه وبينهم مسافة أميال. ويقول لك ذلك الإنسان: «أتعرف ماذا شعرت؟ منذ تلك اللحظة تجدّدت قوّتي» ... وما إلى ذلك. إنَّهُ أَمْرٌ واضحٌ ... فَلَعَمْرِي ليس قوَّةُ اعظم من الصلاة .. الصلاة قوة إلهية .. أجل هذا ما هي عليه ... أعظم من ذلك، أهم من ذلك كلّه، أَمْرٌ آخر نحتاج إليه: نحتاج إلى وأهمّ من ذلك، أهم من ذلك كلّه، أَمْرٌ آخر نحتاج إليه: نحتاج إلى التكلم.

- هل نستخلص من كلامَكِ أنَّ الفرح يمكن أن يستمر بلا انقطاع؟ - أجل .. إلى ذلك، كما يقول أحد القديسين، إذا انشغلنا في أمر بالغ الأهمية، حتى ولو كان الصلاة، وأتى من يطرق بابنا، علينا بالتظاهر أننا لا نصلي، ونفتح الباب قائلين: تفضّل يا أخي. فإن بلغنا إلى هذا النوع من التفكير، أعني التفكير بالقريب وحده دون أنفسنا، يصبح فرحنا مستديمًا. حينئذ نصبح صورة تعكس وجه الآخر. وإذا يصبنا مرآة يرى فيها الآخر وجهه، وبدا الفرح ظاهرًا في تلك المرآة، فلا بُدَّ له أن يرى هو أيضًا شيئًا من ذلك. هذا أمْرٌ أساسيّ. فأنا عشت سنين طويلة في بلد يعاني من الحرمان والاستبداد والشقاء، ولا يعرف سنين طويلة في بلد يعاني من الحرمان والاستبداد والشقاء، ولا يعرف

المسيح. هذا البلد هو الهند. أمَّا إذا نظرتم إلى بلد عنده المسيح، سواء دُعيّ هذا البلد سويسرا أو فرنسا، ترون الناس كلهم هناك عابسين، يرتسم الغمّ على وجوههم، منذ أن يركبوا القطار وحتى يخرجوا منه؛ كلهم قلقون! من أين هذا .. هذا لأنهم فقدوا معنى الفرح. إنَّهُ أَمْرٌ مهم حدًّا! أمَّا هناك في الهند، فهم ينتظرون المسيح، وفي انتظارهم هذا، تراهم فَرحين. أمَّا نحن، فعندنا المسيح، كما يقال، ولكنَّنا لا نعكس صورته للآخرين، ذنبنا كبير، كبير جدًّا.

لكنّي أعود وأقول مرارًا وتكرارًا، ما يجب أن تعلموه، وهو أنكم

إِنْ سلَّمتم أمركم تسليمًا كاملًا لقوة الله ومحبته، سوف

تدركون أنَّ الأمور كلها، اسمعوا جيدًا، الأمور كلها على الإطلاق تحدث إمَّا بمشيئة الله أو بسماح منه. إمَّا هذه أو تلك من الحالتين، وليس من حالة ثالثة. فإنْ يحدُث أَمْرٌ بمشيئة الله، أقبلُهُ من قلبي راضيَةٌ. وإنْ يحدث بسماح منه، أقبله أيضًا بالفرح عينه،

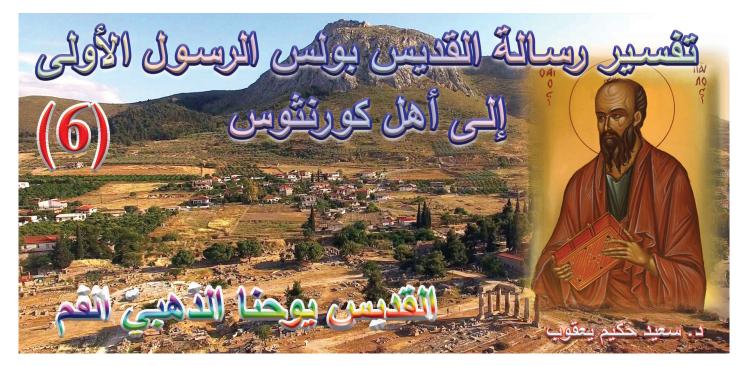
لأنه يعلم السبب، ولأنَّ هذا تدريب لي ... إياكم أن تتجرؤوا وتسألوا: لماذا؟ إيّاكم ثم إيّاكم! فمن يسأل: لماذا، يكتب كلمة «أنا» بأحرف كبيرة.

وحيث الأنا، ما مِنْ تقدّم، وما من رجاء.

- أنتِ تتكلمين عن الفرح، يا أُمّنا، ولكن الآباء، يقولون: إنّهُ حَرِيٌّ بنا أن نحزن على خطايانا ونبكي. فكيف التوفيق بين هذين الأمرين؟ - سأقول لكِ. حالما نشعر بذنب اقترفناه، سنبكي، ويخشع قلبنا، نتوب. لكن بعد ذلك، ينبغي أن يأتي فرح الغفران، لأننا نعرف أنّ الله رحيم رؤوف. فمن ذا يخرج من الاعتراف ويبكي؟ قد يبكي أثناء الاعتراف. يبكي خطيئته وشروره عامّة، وأيّ بكاء! لكن ما هذا البكاء بعد الاعتراف؟! أيخرج إنسان من الاعتراف ويبكي؟ هذا ما لا أقبله

- ربما يشير ذلك إلى نقص في اعترافه.
 - تمامًا
- وربما لا تزال الأنا قائمة في نفسه. وبما أنها لم تتلاش بعد، وما زالت حيّة، فلا عجب إذا تبع ذلك بكاء وحزن وعبوسة وما سواها.
- صحيح، ويبقى الشعور بالندم الذي ينبغي أن يزول بعد الاعتراف. تريدين القول إنَّ هذه الحالات تتناوب فينا. فيستحيل أن يحيا الإنسان طول عمره في البكاء وتأنيب الذات، لأنَّهُ لا بُدَّ مِنْ أنْ يحظى بالتعزية الإلهية .. وهكذا دواليك.
- نعم. ولكن تأتي ساعة يتيقَّن الإنسان من محبة الله تمام اليقين، ويبذل أقصى انتباهه لئلا يفعل ما يؤذي الآخر، أو لئلا يدينه، وهكذا لا يشعر بثقل يكدّره، ويفرح بفرح الله، ذلك الفرح الذي يتلقّاه منه ويعطيه للآخرين. هذا اعتقادي. ثم يبدأ يشكر الرَّب ويحمده، ويرقص طرباً!

المرجع: الأم غفرئيلا، إعداد وترجمة دير السيدة، كفتون، تعاونية النور الأرثوذكسية.



الإصحاح الأوَّل ع

تتمة العظة الرابعة: (١ كو ١٨:١-٢٥)

الأمور معروفة لدينا، لكنها غير معروفة لدى غير المؤنين،
لأجل هذا قال:

«فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِي قُوَّةُ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ.» (1 كور ١١٠٠٨). حتى هذه النقطة لم يذكر شيئًا عن أثقاله الخاصة، لكنه أتى أوَّلا إلى شهادة الكتاب، بعد ذلك وبعدما أخذ الجرأة التي تستند إلى هذا الأمر، بدأ يستخدم كلام حاد أكثر قائلاً: «أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكَرَازَةِ.» (1 كور ٢٠: - ٢١). (بحسب المخطوط اليوناني الذي التحدمه القديس يوحنا الذهبي الفم تبدأ الآية ٢٠ كالآتي: «أَلَمْ يجهّل الله حكمة هذا العالم، أين الحكيم، أين الكاتب، الخ...).

فبعدما قال: «سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ،» أضاف الدليل من الواقع، قائلًا: «أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ» هكذا كان يُدينَ الأمم واليهود في نفس الوقت، لأنَّهُ مَنْ من الفلاسفة، ومِنْ أرباب الفِكرِ، مَنْ مِنْ حُكماء اليهود خَلَّصَ (آخرين)، وعَرَفَ الحقيقة، لا أحد، بل إنَّ كُلّ ما تَحَقَّقَ كانَ من عمل الصيادين البسطاء.

وبعدما وصَلَ إلى هذه النتيجة، وبعدما سَحَقَ تباهي وافتخار هؤلاء، وقال: «أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟» أشارَ إلى السبب، الذي لأجله صارت الأمور هكذا: «لأنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ» ، فقد استُعلن أو ظَهر الصليب. وماذا يعني يعرف الله بالحِكمة التي ظهرت بقوله: «فِي حِكْمَةِ الله؟» أي بواسطة الحكمة التي ظهرت بالمخلوقات، والتي بحا أراد الله للبشو، أن يعرفوه. أي أنَّ مثل هذه بالمخلوقات، والتي بحا أراد الله للبشو، أن يعرفوه. أي أنَّ مثل هذه

المخلوقات قد حلقها لهذا السبب تحديدًا، أي لكي يندهشوا ويُعجَبوا بهذا الخالق العظيم، بحسب ماهيَّة الأمور التي سيرونها، أو إلى أي شيء سينظرونه. أليسَت السماء عظيمة والأرض لا حدُود لها؟ فَلْتَنْبَهِرُ بالخالق، وهذه السماء العظيمة ليست فقط هي صنيعة الله، بل إنَّا قد مُخلِقت بسهولة، وهذه الأرض التي لا حَدَّ لها، هذه أيضًا مُخلِقت كشيء سهل ويسير، ومن أجل هذا، يقول النبيّ داود عن الخالق: «أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ» (مز ٢٠:٨). وعن خلق الأرض: «الصانع الأرض من لا شيء » (إش ٢٤٠٠). وعن خلق الأرض: «الصانع الأرض من لا شيء » (إش ٢٤٠٠) سبعينية). ولاَنَّ الإنسان لم يُرِد أنْ يعرف الله عن طريق هذه الحكمة، فقد أقنعة بها الكرازة، لا بالفكر، بل بالإيمان.

إذًا حيثُ توجَد حكمة الله، فإنَّ الحاجة إلى الحكمة الإنسانيَّة، تُصبح الا معنى ولا مبرِّر لها. أي أنْ يقول أحد أنَّ ذاك الذي خلق العالم غير المحدود والعظيم بهذا القَدْرِ، من الطبيعي أنْ يكون إلهاً لديه قوَّة لا يُمكن إدراكها، فهذا عمل يعتمد على الفكر العقلي فقط، ويحتاج إلى حكمة إنسانيَّة. وبهذا الفكر وهذه الحكمة، استطاعوا أنْ يُدركوا وجود الله، إلَّا الأمر لا يحتاج للفكر وللمنطق، بل يحتاج فقط للإيمان. لأنَّ الإيمان بأنَّ المصلوب الذي قُبِرَ، هو نفستُهُ الذي قام، والذي يوجد في السماء في آنٍ واحد، فهذا لا يحتاج إلى حكمة وفكر، بل يحتاج إلى إيمان. لأنَّهُ من المؤكَّد أنَّ الرُسل لم يُبشِّروا بحكمةٍ إنسانيَّة، بل بالإيمان، وصاروا أكثر حكمة وإيمان من حُكماءِ العالم، بل وأكثر بكثير إلى حدّ قبول حقيقة الله بالإيمان، وهذا أسمَى وأعظم من الطاقة الذهنيَّة أو الفكريَّة، لأنَّ هذا الأمر يتخطَّى الفكر الإنساني.

وكيفَ أدان حكمة هذا العالَم؟ بأنْ نعرف الدليل، أنَّ هذه الحكمة غير نافعة، من خلال كرازة القديس بولس والرُسل البُسطاء، لأنَّ الذي ينوي قبول البشارة الإنجيليَّة، لَنْ يُصَب بضَرر، ولَن يُضَار الإنسان البسيط في شيء نتيجة بساطته، بل وإنْ أردنا أنْ نقول شيئًا غريبًا، نقول: إنَّ البَساطة وليست الحكمة البشريَّة، هيَ الأنسَب والأصلح، والأكثر ملائمة وموافقة في قبول البشارة. لأنَّ الرَّاعي، والفلَّح،

سيقبلان هذا الإيمان، وسيسلّم ذاته للرّبِّ طواعيَّةً. هكذا أدانَ الرسول بولس حكمة هذا العالم، لأنَّ هذه الحكمة أدانت نفسها الرسول بولس حكمة هذا العالم، لأنَّ هذه الحكمة أدانت نفسها أوَّلاً، من حيثُ أهَّا غير نافعة في شيء، فحينَ كانَ ينبغي عليها أنْ تُظهِر قوَّمَا، وأَنْ تَرَى الرّبُّ عن طريق أعمالها، لَمْ تُرِد ذلك. لأجل هذا، فحتى وإنْ كانت تُريد الآن أنْ تعود إلى الحالة السابقة، لا تستطيع، لأنَّ الطريق الذي يقود إلى معرفة الله أسمَى منها بكثير. لهذا فإنَّ الأمر يحتاج بكلِّ تأكيد إلى إيمان وبساطة، ويجب أنْ تطلب هذا الإيمان وهذه البساطة في كُلِّ موضع أكثر ممَّا تطلب حكمة هذا العالم، لأنَّهُ يقول: « أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟». وماذا يعني بقولِه: «يُحَهِّلِ؟» يعني أَظْهَرَ جَهَالَتَهَا، لإدراك الحقيقةِ بالإيمان. ولأنَّم كانوا يفتخرون بهذه الحكمة فشرعانَ ما أدانها. أيَّةُ حكمةٌ هذه، إذا كانت لا تقدم الخيرات الساميَّة؟

هكذا أظهرها بأنَّها جهالةً، لأنَّا أوَّلا أهانت نفسها. وطالما أنَّا لم تُظهِر أي شيء، عندما كان ممكنًا أن تُثْبِتَ الحقيقَة بالمنْطِقِ، الآن حيثُ تبدو الأمور أكثر سُمُوًا، كيف سيمكنها أنْ تُحقِّق شيئًا، في اللحظة التي يحتاج فيها الأمر إلى إيمان فقط، وليسَ إلى إمكانيات بلاغيَّة؟

أذًا فقد أظهرَ الله حكمة هذا العالم، بأغّا جهالة وبصلاحِه قرَّر أنْ يُقدِّم الخلاص بجهالة الكرازة، لكنها ليست جهالة حقيقيَّة، بل تبدو وكأغّا جهالة، لأنَّ الأهم في هذا الأمْر، هو أنَّهُ لم تظهر حكمة أخرى أسمى من هذه الجهالة، فقد سمَى حدًّا بهذه التي اعتُبرَت جهالة، لأنَّهُ لم يُقارِن أفلاطون بفيلسوف أكثر منه حكمة، بل بصياد عديم العِلم، هكذا جعل الهزيمة أكبر، والإنتصار أكثر بهاءً.

ثمَّ أظهَرَ بعد ذلك قوَّة الصليب قائلًا:

«لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلَكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» للمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١ كو ٢٢:١ - ٢٤).

" – هناك مفاهيم كثيرة تَظْهَرُ في هذه الأقوال، فهو يُريد أَنْ يقول: كيفَ إِنَّ عمل الله له الغَلَبة دائمًا رغم كُلّ العوامل المضادة وغير اللائقة، وأَنَّ الكرازة غير مرتبطة بالعامل الإنساني. وهذا يعني أنَّهُ: عندما نقول لليهود أَنْ يُؤمنوا، فإغَّم يُجيبون: أقيموا أمواتًا، أشفوا المقيَّدين بالشَّياطين، أظهروا لنا عجائب. لكن ماذا نقول نحنُ في مواجهة هؤلاء؟ نقول: إنَّ ذاكَ الذي نُبشِّر بِهِ، قد صُلِب، ومات، وقامَ منتصرًا، وهو قادر على أَنْ يَجذب الكثيرين إلى حظيرة الإيمان، ويغلب على الدوام.

تمامًا كما لو أنَّ شخصًا قد أَخْكَتهُ الأمواج، ويشتهي الوصول إلى الميناء، لكنك لم تُشِر عليه بميناء، بل بمكان آخر أكثر خطرًا من الأمواج الهائجة، هذا الشخص بإمكانك أنْ تجعله أن يتبعك دون تردُّد، ويظل ممتنُّ بفضلِكَ عليه (امتنَّ له: شكره، أنا ممتنُّ لك). أو لو أنَّ طبيبًا قد جاءَه شخصٌ مريضٌ طالبًا العلاج، ووعده الطبيب

بالشفاء، لكن ليس بأدوية، بل بالكيّ، واقنعه بذلك، فهذا يُعَد دليلٌ على مقدرةٍ عظيمةٍ. هكذا صنعَ الرُسل، ليسَ فقط أنَّهُم لم يستخدموا آيات وعجائب، بل إغَّم تغلَّبوا وتفوَّقوا باستخدام وسائل أُعتبرَت بأغًا عكس الآيات. هذا تحديدًا ما صنعه المسيح في حالة الأعمى، بأغًا عكس الآيات. هذا تحديدًا ما صنعه المسيح في حالة الأعمى، فقد أرادَ أن يشفيه، وشفاهُ بشيءٍ زاد من العَمَى، أي وَضَعَ طينًا على عَيْنَيْهِ. هكذا وكما شفى الأعمى بالطين، حَمَل معه كُلّ المسكونة على الصليب، وهذا زاد مِنَ العَثْرَة، ولم يُلاشِيها.

وهذا ما فعله في الكون، لقد صنع الضّد بالضّد. فأحاطَ البحر بسورٍ من الرمال، وهكذا أَجْمَ القويّ بالضعيف، ووضع الأرض فوق المياة، وجعل ما هو تقيل وكثيف أنْ يوجَد فوق ما هو سائل أو مُنْسَات.

(ملحوظة: نسبه البحار والبحيرات على كوكبنا تصل إلى ٧١٪ والارض اليابسة ٢٩٪ – انظر أيضًا ترنيمة: اليوم عُلِّقَ على خشبة – الذي علَّقَ الأرضَ على المياه).

بل وبواسطة الأنبياء جعل الحديد يطفو فوق سطح الماء بمساعدة قطعة من الخشب (كما حدث في واقعة سقوط الفأس الحديد في الماء، فَأَلْقَى إليشع النبي قطعة خشب صغيرة في الماء فطفَت بالحديد). وَإِذْ كَانَ وَاحِدٌ يَقْطَعُ خَشَبَةً، وَقَعَ الحُدِيدُ فِي الْمَاءِ. فَصَرَحَ بالحديد). وَإِذْ كَانَ وَاحِدٌ يَقْطَعُ خَشَبَةً، وَقَعَ الحُدِيدُ فِي الْمَاءِ. فَصَرَحَ الْمَوْضِعَ، فَقَطَعَ عُودًا وَأَلْقَاهُ هُنَاكَ، فَطَفَا الحُدِيدُ. فَقَالَ: «ارْفَعْهُ الْمَوْضِعَ، فَقَطَعَ عُودًا وَأَلْقَاهُ هُنَاكَ، فَطَفَا الحُدِيدُ. فَقَالَ: «ارْفَعْهُ لِنَفْسِكَ». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ. (٢ ملوك ٢:٥-٧). هكذا أيضًا رَبِحَ المسكونة بالصليب، فكما تحمّلت المياه الأرض، هكذا حمل المسكونة بالصليب، فكما تحمّلت المياه الأرض، هكذا حمل الصليب على قوّة وحكمة كبيرة، فالصليب يبدو أنّه أكثر مُعثِرٌ، لكنه ليس على قوّة وحكمة كبيرة، فالصليب يبدو أنّه أكثر مُعثِرٌ، لكنه ليس فقط غير مُعثر، بل إنّهُ جاذبٌ أيضًا للخلاص.

كُلّ هذا كان الرسول بولس يضعه في اعتباره، وهو مملوء دهشة وتعجّب، إذ يقول:

«لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (١ كو ١: ٥٠).

يشير هنا إلى الجهالة والضعف فيما يتعلَّق بالصليب، ليس لأنَّ تلك الأمور هي هكذا في الحقيقة، بل لأنها تبدو هكذا، فهو يُجيب وفقًا لطريقة تفكير هؤلاء. بمعنى أنَّهُ ما لمَّ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَقِّقَهُ فلاسفةٌ بمنهجِهِم الفكري، حققتها تلك الأمور التي أعتبرَت جهالة. إذًا مَنْ هو الأكثر حكمة؟ هل ذاك الذي يُقنع الكثيرين، أَم الذي يُقنع قليلين وربما لا يُقنع أحدًا؟ هل هو مَنْ يُقنع آخرين بموضوعات جادَّة أم يُقنعهم بأمور لا معنى لها؟ كم تَعِبَ أفلاطون مع تلاميذه ليُناقشنا في أمور تتعلق بالخطّ، والزَّاوية، والنقطّة، والأرقام الكاملة والصحيحة، والزائدة، والمتساوية، وغير المتساوية، أيضًا ليُناقشنا في موضوعات مثل نسيج العنكبوت، لأنَّ هذه الموضوعات غير نافعة للمعيشة، مثل نسيج العنكبوت، لأنَّ هذه الموضوعات غير نافعة للمعيشة، وهكذا تركَ الحياة، بدون فائدة تُذكر. كَمْ تَعِبَ مُعاوِلًا أَنْ يُبرهن على أنَّ النفس غير مائتة، دونَ أن يقول شيئًا واضحًا، أو يُقنع أحدًا من

السامعين له، ومات دونَ أنْ يَصِل إلى نتيجة؟ لكن الصليب استطاعً أن يُقنع بواسطة أُناس بُسطاء (الرُسل)، ورَبحَ المسكونة كلّها، بعدما كرزوا لا بإمور عشوائيَّة، بل بالأُمور المختصة بالله، وبالتقوى الحقيقيَّة، وبالحياة الطوباويَّة، والدينونة الأخيرة، بل إنَّ جميع القساة، وكلّ البسطاء أيضًا قد جعلهم حُكماء حقيقيين.

(ملحوظة: قَدَّم لنا القديس باسيليوس الكبير بعض الكلمات التي تعكس محتوى هذه الحياة الطوباويَّة، قائلًا: «الحياة الطوباويَّة هي عَيْنٌ مُدَقِّقَةٌ، لسانٌ مُنضَبِطٌ وعفيفٌ، جسدٌ محتمل للمشاقِ، فكرٌ متواضعٌ، ذهنٌ نقيٌ، لا مكان فيه للغضبِ أو الإدانةِ، وتحمُّل للإضطهادِ، وصفحٌ للمجدفين، ومحبةٌ للجميع»

ЕПЕ,Τομ. 11,Р.360

لاحظ كيف أنَّ جهالة الله هي أُحكَم من الناس، وكيفَ أنَّ ضُعف الله أقوى من الناس. ولكن كيف تكون الأقوى؟ ذلك لأنَّ الكرازة انتشرت في كُلِّ المسكونة، وانتصرت على كُلِّ شيء، وبينما حاوَلَ أناس لا حَصر لهم أنْ يمحو إسم المصلوب، حدث العكس، فقد

أزهرت الكرازة وامتدت وتقدمت، أمَّا هؤلاء فقد هَلكُوا، وبينما كان الأحياء (ضدّ المسيح) يحاربون مَنْ ماتَ (المسيح)، إلَّا أهَّم لم ينجحوا في شيء. حتى أنَّه عندما كان الأممي أو الوثني يدعوني جاهلًا، عندئذ كان يُظهر نفسه جاهلًا للغاية، أي حينَ أظهر أنَّني أكثر حكمة من الحكيم، وأنا المدعو من قِبلِهِ بالجاهل. وعندما يصفني بالضعيف، عندئذ يُظهر نفسه أكثر ضعفًا، بمعنى أنَّ ما استطاع أنْ يحققه عشّارون وصيّادون، بنعمة الله، لم يستطع أن يُحقّقهُ فلاسفة، وخُطباء، وطُغاة، وكل المسكونة بشكلٍ عام. وبالرغم من أخَّم فعلوا كُل شيء، إلَّا أهَّم لم يقدروا ولا حتَّى أنّ يتخيّلوا ما حدث، لأنَّه هل هناك شيء لم يعنيه ويتناوله الصليب؟ إنَّه يتضمّن المعاني الخاصة بخلود النفس، وبقيامة الأجساد، واحتقار الأمور الدنيويَّة، واشتهاء خيرات الدهر الآتي. لقد جعَل البشر ملائكة، والجميع صاروا مشغولين بالحكمة الإلهيَّة، ويقدّمون كُل شيء بسخاءٍ وكرّم.

(يتبع في العدد القادم)



قيلَ أَنَّهُ أَثناء إنعقاد أحد الإجتماعات للأساقفة في الهواء الطلق، عَبَر من أمامهم موكب وثني فيه ممثلة شبه عارية، متزينة بشكل متألِّق بالمجوهرات. الأساقفة الآخرين غطوا رؤوسهم بعباءاتهم حتى لا يقعوا في تجربة. من تحت عباءاتهم، رأى الأساقفة الآخرين الأسقف نونيوس ينظر مباشرةً إلى المرأة التي تقترب.

بعد أن عبرت، رفعوا عباءاتهم وسألوه: «كيف تستسلم للإغراء وتتطلّع للمرأة؟». أجاب بحزنٍ قائلًا: «كم هي ملوثة قلوبكم. لقد رأيتُموها فقط كوسيلة إغراء. أنا رأيتها كإحدى عجائب الله».

وأستمر قائلاً: «كم عدد الساعات التي أمضَتْها تلك المرأة في الاستحمام وتزيين نفسها حتى لا يكون هناك أي بقعة أو عيب في جمالها الجسدي، كل هذا من أجل إرضاء الرجال، العُشَّاق التافهين، الموجودين هنا اليوم والمرتحلين غدًا؟ أمَّا نحن، من الناحية الأخرى، لدينا محبوبٌ أبديٌّ، الآب السماوي القدير الذي يعد بخيراتٍ أبديَّةٍ فائقةٍ، ولنا عريس وجهه يفوق الوصف، الذي الشيروبيم لا تجسر التطلُّع إليه، ومع ذلك نحن لا نتزيَّن، ولا نهتم بالقدر الكافي بأن نغسل القذارة من نفوسنا البائسة، بل نتركها ملقاه في البؤس».

عند سماعه هذه الكلمات، ذهب شماس إلى قلايته، وانطرح على الأرض وبدأ يبكي وهو يصلي: «يارب يسوع، أرحمني أنا الخاطئ، فتزيين يوم واحد عند الزانية يفوق بكثير تزيين نفسي. بأي وجه أنظر إليك؟ هي وَعَدَتْ بإرضاء الرجال، والتزمت بكلمتها. أمَّا أنا فقد وعدت بارضاءك، لكننى لم أفعل من جراء كسلى. أرحمنى وأغفر لى».

بأي درجة نحن أمناء في سعينا لإرضاء حبيبنا الأبدي، عريس نفوسنا الذي يومًا ما سوف نقضى الأبدية معه؟

ماذا نحن فاعلون لتجميل نفوسنا والإحتفاظ بما جميلة له؟

ألا ينبغي ان يكون ذلك هو إهتمامنا الرئيسيّ والأولويَّة الأعظم في حياتنا؟

نعلم من السيرة أنَّ القديس نونيوس صَلَّى من أجل الممثلة بيلاچية. اليوم التالي، سمعت بيلاچية الأسقف يعظ، فتحركت مشاعرها نحو التوبة. كتبت إليه، ثم جاءت إليه وتوسلت من أجل أن تنال المعمودية من يَدَيْهِ. وبمجرد أن اعتمدت، دخلت الدير.

وفي نماية المطاف، تم تطويبها كقديسة - القديسة بيلاچية.

الفصل الثامن عشر

«لكِنَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي قَدْ مَاتَ يَحْكُمُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْبُاقِينَ بَعْدَهُ، وَالشَّبِيبَةَ السَّرِيعَةَ الْكَمَالِ ثَحْكُمُ عَلَى الْبُاقِينَ بَعْدَهُ، وَالشَّبِيبَةَ السَّرِيعَةَ الْكَمَالِ ثَحْكُمُ عَلَى شَيْخُوخَةِ الأَثِيمِ الْكثِيرةِ السِّنِينِ.» (حك ٤: ١٦). «اَلْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ» (لوقا ١٨:١٧).

منذ ذلك الزمن بدأت كريزنتيا تَسبَح في بَحرِ السعادة. وكان لها بعض الصديقات الحميمات اللواتي يُشارِكْنَها أفكارها. وَكُنَّ مثلها ممتلئات من التقوى والإيمان. وما أنْ تعرَّفت كريزنتيا إلى أُستاذ ريزاريوا الجليل، حتى

رَغِبَت فِي أَنْ تجعل صديقاتها يَستَفِدْنَ هُنَّ أيضًا من معرفته. فاجتمعنَ كُلِّهِنَّ معًا بقيادتها لِيُشَكِّلَنَّ صفًّا عِلمانِيًّا مُقَدَّسًا.

وفَرِحَت السيدة مانطوبولُس بالأمر، وحوفًا من أنْ تُغادِرها كريزنتيا، أعطتها غرفة في الطابق الأرضي حيث يمكنها أنْ تجتمع مع صديقاتها. وكانت احداهُنَّ تُدعَى كاترينا، وتَصغُر كريزنتيا بأربع سنوات، وكانت الثانية تُدعى هيلانة وتكبُرها بعشر سنوات. وبعد مدّة قصيرة حضرت الفتاة الرَّابعة، أن يليدكي، التي كُنَّ يُنادينها: «الملاك الصغير» لأخَّا كانت لا تزال في الثامنة عشرة من العُمر. وكانت كُلّ واحدة منهنَّ تقوم بعملِ ما: إمَّا الأعمال المنزليَّة أو الخياطة أو التطريز ... وفي اجتماعاتمنَ في يُنشِدنَ المزامير ويقرأن الكتاب المقدَّس ويُصلِّين، ويتباحثن في إمكانية تقديم العون للمحتاجين، وتمتلىء قلوبمن فرَحًا.

وفي إحدى ليالي الصيف، وبعد هطول مطر مُنعش عَطَّرَ الجُوْ ورَوَّى الأرض، كانت الفتيات في غرفة الاجتماعات في المنزل المِضياف. وفي النهاية وصلت الأم ليني (وهو لَقَب تَحبُّب، كانت الفتيات يُطلقنه على هيلانة، وهي أكبرهنَّ سنًّا)، وكانت ممرضة. وعند وصولها راحت الفتيات يُصَلِّينَ بحرارة إلى أُمِّ الإله، لكي تتشفَّع بمرضَى المستشفى الكبير حيثُ تعمل هيلانة، وبالفقراء الذين لا مأوى لهم، الملتحئين إلى المُدن. ثُمُّ سألَت الأم ليني:

- «كيفَ وحدتُنَّ يا صديقاتي موعظة أبينا الرُّوحي نهار الأربعاء الماضي في بيرياس (قرب أثينا)؟».

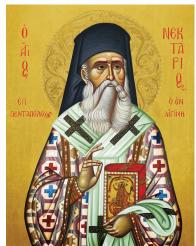
فتمتمت كاترينا:

- « يا لهذا الرجُل!».

فأضافت الأم ليني:

« يا لها من نعمة كبيرة أسبغها الله علينا، أنَّنَا تعرَّفنا به، ونستطيع أنْ نُفضي إليهِ بأحزان روحنا الخفيَّةِ. ونحنُ ندين بهذا لكريزَنتيا .

فقالت أنچيليكي:



-«لعائلة مانطوبولُس!»

فاعترضت الضريرة قائِلةً:

-«بل ندين بكلّ ذلك **للرَّبّ**».

فَقُلنَ جَمِيعَهُنَّ فِي آنٍ واحد:

- «نعم أنتِ على حَقّ: للرَّبِّ ... أحسَنتِ!». فقالت الأُم ليني:

- « إنَّهُ بسيط، مُحسِن، يحضن الفقراء ...».

فأضافت كاترينا:

. « إنَّه كاهن بكُل معنى الكلمة. وقد سمعتُ أنَّهُ يتكلَّم الفرنسيَّة بطلاقةِ».

وتابعت الضريرة:

- «جميع هذه الصفات ثانويَّة. لقد نَسيتُنَّ الأهم والأفضَل».

فَصرَحنَ كُلَّهُنَّ معًا:

- «ماذا؟ قولي لنا!».

- «أَ لَمْ تلاحِظنَ ذلك؟ انا الضريرة قد رأيتُهُ منذُ وقتٍ طويل»

وسألت كاترينا بصوت حافت:

. «رؤوف؟ كريم؟».

فصرخت الأم ليني:

- «إنَّهُ متواضع مثل لِعازَر المُغَطى بالقروح».

فقالت الضريرة:

- «بالضبط. تَصَوَّرنَ المسؤوليات المُلقاة على عاتقه: إدارة المدرسة، ومؤلفاته التي تبدو وكأفَّا مُرسَلة مُباشرة من السماء، والخِدَم الليتورجيَّة، والموعوظات كما في يوم الأربعاء الماضي. وكلّ ذلك يأتون إليه ولا يرفض أحدًا منهم! والله وحده يعلم كم يسهر الليالي ليقوم بكلّ ذلك! أشعر بالخوف ... أجلْ أخاف ألَّا تصمد صحته. ولا تنسينَ أنَّهُ ليس من السهل الاستماع إلى اعترافاتنا، نحنُ الفتيات التافهات.

- «لكن أنتِ ياكريزَنتيا، لقد أوصَت بِك السيدة مانطوبولُس. وهو يحبّك بصورة خاصة».

وأضافت كاترينا:

- « ونحنُ قد تَمَسَّكنا بِكِ.

- « لا تَقُلنَ هذا الكلام يا صديقاتي. فهو لا يُفَضِّلَ شخصًا على آخر على الإطلاق. وقد أَكَّدَ لي أمين سِرِّه منذ فترة: أنَّ الأب نكتاريوس يستقبل بانتظام حمَّالًا مجهولًا ويستمع إلى اعترافاته، وهو رَجُل أرمني يعمل في موناستيراكي» (أحد أحياء أثينا).

(التتمة في العدد القادم)



المُؤلِّف: هو الأب أنتوني م. كونياريس كاهن يخدم في كنيسة القديسة مريم اليونانيّة (الروميَّة) الأرثوذكسيَّة في مينيابوليس، في الولايات المتحدة الأمريكيَّة، وهو يتميَّز بغيرة رسوليَّة حارَّة. كان مسئُولًا عن العمل الأرثوذكسي الطلابي بجامعة مينيسوتا حيث كان يخدم في المجمع الاستشاري الديني. وقد نجحَ من خلال كتاباته في جعل الروميَّة الأرثوذكسيَّة للشباب رسالة ذات تقليد حيّ، تتقبَّل كُلِّ ما هو حقيقي وجميل، وترفض كُلِّ ما هو زائف وفاسد.

التواضع يُعطينا أَعْيُنًا جديدةً:

إِنَّ التواضع يهبنا أَعْيُنًا جديدة نرى بواسطتها الناس. وكمثال لذلك القديس أرسانيوس الكبير الذي كان مُعَلِّمًا لأبناء الإمبراطور ثيودوسيوس الأولى، وهو وقد وُلِدَ فِي أعلى طبقات الجتمع الرُّومي الأرثوذكسي، وتَلَقَّى أحسن تعليم متاح في هذه الفترة، ورغم ذلك، تركَ كُلِّ شيء وراءه لِيُصبح راهبًا في سنّ الرابعة والثلاثين.

قصة:

في ذات يوم كان القديس أرسانيوس الكبير يكشف أفكاره لأحد الشيوخ الرهبان، ورآه أحد الرهبان فقال له: «كيفَ لكَ يا أنبا أرسانيوس وأنتَ الذي تَنَقَفْتَ بكلّ الحكمة اليونانيَّة واللاتينيَّة تسأل ذلك المصري الأُمِّي؟». فأجابَهُ: «بالحقيقةِ لقد تعلَّمتُ اليونانيَّة واللاتينية، لكنِّي لا أعرف الألفا فيتا التي يعرفعا هذا الأُمِّي».

فبالرغم من أنَّهُ كانَ متعلِّمًا أحسَنَ تعليم، إلَّا أنَّ التواضع أعطاهُ زوجًا جديدًا من الأَعيُن التي جعلته يرى المسيح في كُلِّ شخص يراه. كان الرُّهبان المصريُّون يحترمون تعليم الأنبا أرسانيوس الواسع ويُقدِّرونَه كُلِّ تقدير، وهو كان يُعاملهم باحترام جزيل ورهبة. لأنّهُ رأى فيهم تواضع المسيح الذي كان «وديعًا ومتواضع القلب»، وبِمُمارسة ذلك التواضع، اقتنى الأنبا أرسانيوس تواضع سيِّده.

كتب القديس ثيوفان الناسك يقول:

«إذا احتقرتَ أحد إخوتك أو أخواتك، يجب أنّ تُعاقِب نفسك وتدينها بشدَّة، ويجب أنْ تتضَرَّع إلى الله بِشدَّة لكي يغفر لك، فإنَّ أسوأ شيء على الإطلاق هو الاعتداد بالذَّات والتكبُّر والحُكم على الآخرين وإدانتهم، فهذه هي رائحة الجحيم».

التواضع هو عدم الرغبة في الإدانة:

أحد أبرز ما يمَيِّز آباء البريَّة هو عدم إدانة الآخرين، فقد كانوا يشعرون بأنَّ الخشبة الموجودة بعيونهم تعوق رؤيتهم، فلا يستطيعون أنْ يروا القذى في عيون إخوتهم.

قصة:

في ذات مرَّة أخطأ أحد الإخوة بالإسقيط، فاجتمع الشيوخ وأرسلوا للأنبا موسى لينضمَّ إليهم، لكنه لم يَرد أنْ يذهب. فأرسَلَ إليه القِسسّ رسالة قائلًا: «إنَّ الإخوة ينتظرونك». فقام الأنبا موسى وأخذَ معه شوالًا قديمًا حدَّا مملوءًا بالثقوب (شوال =كيس من خيش يعبًا فيه الحبُّ أو الدقيقُ ونحوُه) وملأه بالرَّملِ، ووضعه على ظهره وجرى نحو الأخوة لينضمَّ إليهم. فلما رآه الشيوخ سألوه: «ما هذا يا أبتاه؟». فأجابهم: «إنَّ خطاياي تجري وراء ظهري ولا أراها، وقد حئتُ اليوم لِأُحِاكَم خطايا أخيى». فلمًا شعوا ذلك امتنعوا عن محاكمة الأخ واعتذروا له.

كيف نُصبح مساكين بالرُّوح:

سُئِلَ أحد الآباء السُّواح: «كيف يُصبح الشخص مسكينًا بالرَّوح؟». فأجابَ قائلًا: «بأن يتذكَّر خطاياهُ على الدوام».

وفي صلوات الكنيسة الروميَّة الأرثوذكسيَّة، نعترف دائمًا بخطايانا، فنقول في صلاة الغروب: « اللهم إغفر لي أنا الخاطئ وارحمني ... أخطأتُ يا أبتاه في السماء وقدَّامك، ولستُ مستحقًّا أن أُدعَى لكَ ابنًا، بل اجعلني كأحد أُجراءِكَ». كما نقول أيضًا في صلاة النوم: «توبي يا نفسي ... وتضرَّعي إلى المُخلِّص بالتوبة قائلة: اللهم ارحمني وخلِّصني ... لكنِّي أثَّذ صورة العشار قارعًا صدري قائلًا: « اللهم اغفر لي فإنِّ خاطئ».

الإعتراف والإيقان بأنَّني خاطئ وأوَّل الخطأة ليس هو تظاهرًا للمسكنة بالرُّوح، لكنه معرفة يقينيَّة لمدى ثِقَل خطيَّتي أمام الله. لقد خُلِقتُ لكي أحفظ تواضعي أمام الله المرهوب ذلك لأنَّ التواضع هو معرفة الذات الحقيقيَّة، إنَّها الشعور بالامتلاء بالخطيَّة. وقال القديس اسحق السوري: «الشخص الذي يعرف ضعفه يَصِل إلى التواضع».

التواضع، أوَّلًا وقبلَ كُلِّ شيء هو قبول المعرفة أنَّنَا خُطاة. هذا التواضع هو ضروري جدًّا، لأَنَّ الأناجيل قدَّمته على أنَّهُ لازم لاقتناء النعمة. إنَّ تواضع الاعتراف بالخطيَّة هو الذي يفتح القلب للنعمة: «أخطأتُ يا أبتاه في السماء ...» (لو ١٥:١٨)، فكلَّما خَلت الإسفنجة من

السوائل، زادت قدرتها على الامتصاص.

كيف علمنا الله المسكنة:

يعلِّمنا القديس إسحق السوري أنَّنا لا نبلغ المسكنة (التواضع)، لكن نقتنيها في نفوسنا بواسطة الله أو الآخرين الذين يعرفون ضعفنا، فقد كَتَك:

«يا رَبّ في الحقيقة إنْ لم نَكُن متواضعين، فلا تَكُفّ عنَّا حتى نتواضع».

وكتَبَ القديس يوحنا كليماكوس (الدُرجِي):

بِمَا أَنَّنَا لَا نُرِيد أَنَّ نَضِع أَنفُسنا، فقد رَتَّبَت عناية الله ألَّا يستطيع أحد أن يرى أخطاءه مثلما يراها جاره».

واستمرارًا على نفس النهج الفِكري، يعلّمنا القديس يوحنا كليماكوس (الدُرجِي) أنَّنَا ربما نكون نسير بمُفردنا بِخُطي بطيئة، وبرغم ذلك نفتخر بتقدُّمنا، ولكن عندما يأتي آخر فجأة ويتقدَّم سريعًا ويسبقنا تاركًا إيَّانا في الوحل، حينئذ ننتبه. يكتب القديس ويقول:

«إِنَّ الحصان المنفرد يفكِّر غالبًا أنَّهُ عدَّاةٌ سريع، لكن عندما يجد نفسه في حلبة السباق يكتشف كم كان بطيعًا».

والله نفسه يستخدم مواهب وقُدرت الغيركي يبقينا على يقين من حقارتنا. أَفَلَيْسَ كُلِّ مَنْ نُقابله يتفوَّق علينا في شيءٍ ما؟.

يسمح الله لنا أنْ نضلّ:

القديس بطرس الدمشقى Peter of Damaskos يقول: إِنَّ الله في بعض الأحيان يسمح بأنْ نسقط أو نضل قليلًا كي يحفظنا متواضعين. وقد كتَب في الفيلوكاليا:

«في بعض الأحيان يسمح الله بتدبير منه بأنْ نضل قليلًا ثمَّ نرجع بتواضع كبير، وفي أحيانٍ أُخرى يسمح لغرورنا بأنْ نثق كثيرًا في أنفسنا. عندما يحدث ذلك يجب أن نؤمن بأنَّ نعمة الله تسترنا وتعلَّمنا بأنْ نكون متواضعين، وأن نعرف أنَّهُ متى كانت لنا قوَّة أو معرفة، فيجب أَنْ نعتمد كلّية ليس على أنفسنا بل على الله الذي يُقيم الأموات».

الاتضاع هبةٌ من الرُّوح القُدُس:

يعلِّم القديس نيكولاوس كاباسيلاس أنَّ التواضع هو أحد هبات الرُّوح القُدُس التي نكتسبها في المسحة المُقدسة، فيكتب قائلًا:

«إذا كان هناك أحدُ الأبرار الذي يبدو أنَّهُ يبرع في المحبة والطهارة وقَمع الذَّات والتواضع اكثير والقداسة أو أي شيء أعلى الذي هو شائع في الإنسان، فيجب أنْ ينسب ذلك إلى المسحة الإلهيَّة. عندئذ يجب أن نؤمن أنَّ النعمة (الهبَة) قد أُعطِيَت له عندما تقبَّلها في السِّرّ واكتُسِبَت فيما بعد».

يتفق معه في هذا المفهوم المطران إنوسنت مطران موسكو على أنَّ التواضع بالحقيقة هو هبة من الرُّوح فيقول:

«ا**لرُّوح القُدُس** يهب الاتضاع الحقيقي، أمَّا الذكاء ورقَّة المشاعر

والمهارة فيمكن أن تكون للإنسان دون أن يكون الرُّوح القُدُس ساكنًا فيه. وفي هذه الحالة لن يستطيع أن يعرف ذاته حقّ المعرفة، لأنَّهُ دون معرفة الله لن يستطيع أن يرى ما بداخل روحه جيِّدًا. لكن عندما يدخل الرُّوح القُدُس قلب الإنسان، فإنَّه يرى كُل الفقر الداخلي والضعف واضطراب روحه وقلبه واحتياجه الشديد إلى الله».

القديس إسحق السوري يصف الخطوات إلى الاتضاع:

يشرح القديس إسحق السوري تسلسل الخطوات التي يمكن أن نتبعها لِنَصِل على الاتضاع فيكتب:

«سُئِلَ واحد ذات مرّة: «كيف نستطيع أن نقتني الاتضاع؟». فأحاب: «بالاعتقاد الراسخ بأنَّ الإنسان زائِل وقريبٌ من الموت، بالثياب الرَّثة وتفضيل المتكأ الأخير، ويأخذ بفرح أقلِّ وأصغر الأعمال في كُلّ فرصة، بألًّا يكون مُعاندًا ويتحفَّظ بسكونه ولا يكون دوَّارًا، ويجب أن يكون غير معروف من كُل أحد، ويكره النميمة والثرثرة، وفوق الكُلِّ يجب أن يكون بفكره أعلى من الملامة واتمام أي شخص. ألَّا يعتمد الشخص على ذاته أو على الآخرين، بل يحتمل كُلِّ إنسان، وأن يكون مقتصِرًا عن كُلِّ أحد ويعيش كغريب في العالم. كُلِّ ذلك يُوَلِّد الاتضاع ويُعطِي نقاوة للقلب».

خطوات أُخرى للاتضاع:

يذكّرنا سي. إس. لريس بأنَّهُ كي نقتني الاتضاع، يجب أن نؤمن بأنَّنا متكبرين، فيقول:

« إِنْ أَرادَ أحد أَنْ يقتني الاتضاع، فأستطيع أَنْ أقول له الخطوة الأولى أَلَا وهي الاقتناع التَّام أنَّهُ متكبِّر، ولا يوجد شيء أكبر أو خطوة يمكن أن تسبق هذه الخطوة، فإنْ ظننتَ أنَّكَ لستَ مغرورًا (مُعجبًا بنفسك)، فأنتَ بالحقيقة مغرور».

طريقة أُخرى للاتضاع وهي أنْ تكون لنا النظرة الحقيقيَّة لأنفسنا ولمواهبنا ولقدراتنا ولكمالاتنا، ونؤمن بأنَّ كُمَّ شيء نملكه هو موهبة من عند الله. وبذلك فبدلًا من الشعور بالتكبُّر، فإنَّنَا ننحني أمام الله بشعور طاغ بالامتنان.

الأب فيلوثيوس السينائي:

يقدِّم لنا الأب فيلوثيوس السينائي الخطوات التالية نحو الاتضاع فيقول: «علينا أن نفعل ما بوسعناكي نؤدَّب ونخضع قلبنا، وكي نحقّق ذلك علينا أن نتذكُّر دائمًا حياتنا السابقة في العالم، ونسترجع ونتذكُّر بالتفاصيل **كُلّ خطايانا** منذ الطفولة (باستثناء الخطايا الشهوانيَّة لأنَّ ذلك مُضِرٌّ)، وذلك ليس فقط يجلب الاتضاع بل وأيضًا يُدِرّ الدموع ويدفعنا أنْ نُعطى كُل مشاعر الشكر الله. التذكُّر الدائم والمستمر للموت يقوم أيضًا بنفس العمل، فإنَّهُ يُولِّد حُزنًا مختلطًا بالفرح والسعادة واليقظة الدائمة. بالإضافةِ إلى ذلك، فإنَّ تذكُّر آلام الرَّبّ والهذيذ فيما فعلَهُ لأَجلنا يجعلنا نتضع ويكسر كبرياءنا، وأيضًا الدموع تُخشِّع قلوبنا. في النهاية كُلّ تذكُّر لِنِعَمِ وإحسانات الله لنا يجلعنا نتضع، ذلك لأنَّ رَّ مَا الْكَبَرِيَاء». حربنا مع شيطان الكبرياء». **23**



في مستشفى القديس سابا الكبير في أثينا، كانت إحدى الأمهات تجاهد ضِدَّ بلاء البشرية الذي هو السرطان. وقد كانت حالتها مُستعصيةٌ حتى أنّ الأطباء قالوا لأولادها بأن يأخذوا أمهم إلى البيت: «لا تُتعبوا أنفسكم بعد الآن بأن تأتوا إلى المستشفى لكي تعتنوا بوالدتكم! ما من أمل لها بالعيش. خذوها إلى البيت لأنها إن ماتت هنا فسوف تُربكون أنفسكم بمعاملات المستشفى وإجراءاته ». لقد كانت العائلة من كافالا في شمال اليونان.

عند تبلُّغهم رأي الأطباء، راح أبناؤها الخمسة المحتمعين حول سريرها بالبكاء، فهي والدهم أصل حياتهم، وللإنسان أم واحدة في هذه الحياة. وفي تلك اللحظة، مرّت أمام باب الغرفة حيث كانوا مجتمعين، امرأة لا يعرفونها فرأت المشهد المأساوي وفهمت ما الذي يحصل. وسألت الأبناء: «أهذه أمكم؟ اصغوا إليّ! لا تتوقفوا عند هذا، فالله وقديسوه فوق العلم والأطباء. كل ما هو بشري قد فعلتموه. لقد ذهبت حديثًا في رحلة حج إلى مقام القديس يوحنا الروسي في بروكوبي في إيفيا، حيث يوجَد جسده المقدس كاملًا من دون فساد، وقد أخذت القليل من الزيت من القنديل المعلق فوق رفات القديس لكي أرسم بما علامة الصليب على أحد أقربائي وهو مريض هنا في هذه المستشفى، وسوف أفعل الشيء نفسه لوالدتكم والله سوف يُعيل».

إن بعض الكلمات المصحوبة بقليل من العطف والتعزية تستطيع أن تريح كثيرًا، وتساعد مَنْ هو في أَلَمٍ أو حُزْنِ. حتى الجلوس بصمت بقرب شخص متاً لِم يعطي الشجاعة؛ وبقطعة من القطن رسمت السيدة الغريبة إشارة الصليب على جبهة المريضة ورحلت ذاهبة.

صحيح أَنَّ القوة الإلهية تنتقل حتى من خلال الأشياء والمواد

التي تستعمل في العبادة، كالذخائر والماء المقدس والزيت لأنَّ للكنيسة إيمان مطلق بقوة المسيح على الشفاء. إن هذه الطريقة المتواضعة لنقل قوة الله غير المادية وغير المخلوقة إلى أجسادنا وأمراضنا بواسطة رسم علامة الصليب مستخدمين الزيت والماء المباركين قد وضعها آباء الكنيسة: «كالشفاء الأعظم والأكثر لياقة بالله» (القديس يوحنا الذهبي الفم). من الممكن فهمها كعمل يعكس إيمانًا عميقًا حيث أنَّ شخصًا ما قد يشعر بعدم استحقاقه للطلب من المسيح نفسه أو من أحد قديسيه أن يأتي الى معونته ولكنه يؤمن أنَّ قوة المسيح الشفائية سوف تنتقل في هذه الطريقة البسيطة. أليس صحيحًا أنَّ المسيح بفعل الرّوح القُدُس يصير لنا شركة إلهيّة من خلال تَحَوُّل الخبز والخمر ؟

بالعودة إلى المرأة المريضة، بعد برهة قصيرة بعد أن رسمت السيدة غير المعروفة إشارة الصليب عليها، فتحت عينيها. وإذ رأت أن أولادها يبكون أَوْمَأَتْ برأسها إلى أحدهم لأن يقترب منها. فاقتربت منها ابنتها الكبرى فقالت لها والدتما هامسة: «لماذا تبكين يا ابنتى؟»

«أمي لقد مرّت أيام عديدة منذ فقدت وعيّك وما عدتِ تكلمت معنا. وأنتِ تسألينني عن سبب بكائي؟»

«نعم يا ابنتي، ولكن منذ برهة قصيرة، أتى جندي شاب وقال لي أنَّ اسمه القديس يوحنا الروسي ورسم إشارة الصليب على جبيني وقال لي أنني سوف أعود إلى الحياة».

وبالرغم من أنَّ مرضها كان «مستعصيًّا»، فقد تعافّت الأم وعاشت مع أولادها ورأت أولاد أولادها كما سمح الله وقديسوه. فبشفاعة القديس يوحنا الرُّوسي أيُّها الرَّبُّ يسوع المسيح إرحمنا وحلِّصنا. آمين.

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

المحرّر المسؤول: شامخشيبون-سكرتير جمعية نور المسيح